بسم الله الرحمن الرحيم

بحث للإجابة على سؤال

هل القرآن الكريم تأليف بشري

حلمي صابر

المحرم ١٤٤٧هـ / يونيه حزيران ٢٠٢٥م

توضيح

- عاش هذا البحث معي سنوات مدا وجزرا.
- حاولتُ نسيانه وتركه، لكنه يطفو على خاطري وصدري.
- كنت أكتب وأتوقف، ثم أعاود. ثم جاء نهاية عام ١٤٤٦هـ وعزمتُ على إخراجه.
- استشرتُ عالما في موضوع البحث وطريقته فوافقني على المضي قدما وأبدى نصيحة للبحث.
- كنت أجمع الملاحظات خلال قراءتي للقرآن الكريم كما يفعل أية قارئ.
- ليس عندي وسيلة لنشره وطباعته إلا هذه النسخة الإلكترونية وهي مشاعة للجميع.
- عاهدتُ نفسي بألا أرجع إلى مرجع في الموضوع نفسه أو إلى بحوث سابقة.
- حتى لو رأيتُ عنوانا وكتابا وبحثا قريبا من الموضوع، فإنني أتحاشاه مباشرة خشية؛ أن يؤثر في طريقة منهجي وعرضي للبحث. ولن تجد اقتباسا لعنصر إلا من المراجع التالية:
  - القرآن الكريم
  - التفسير الميسر لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
  - المختصر في تفسير القرآن الكريم لمركز تفسير
  - الميسر في غريب القرآن الكريم الميسر لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
  - مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني
  - معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية –ستة مجلدات- المطابع الأميرية بمصر
  - المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم لمركز تفسير
  - صحيح البخاري وصحيح مسلم

- لم ألتزم طريقة بحوث الجامعات المطولة التي يتدرب عليها طالب دراسات الشهادات العالية؛ لقناعتي الشخصية بأن رسالة البحث ليست هي المكان للتدريب على الكتابة العلمية. هذا رأي إداري وليس علميا. فليتكَ لا تضجرْ به.
- ومن قناعتي أنه يجب أن يختصر حجم الرسائل العلمية الحديثة في الجامعات؛ فليس كثرة الصفحات دليلا على جِدة البحث وأصالته. فالإسهاب الطويل والاقتباس الكثير هو الأسهل. والاختصار هو الأصعب. وحاولت ولا زلت أحاول أن أشذبَ من البحث حتى يبقى أقلَّ ما يبقى. وليتني أوفق.
- هذه النسخة الأخيرة والمسودة الأخيرة المعتمدة. وهي بلا حقوق نشر.
- استخدمت تلوين شاهد النص بالأزرق للفت القارئ إلى الشاهد أو إلى موضع الاستدلال.

المقدمة

هذا بحث لسنوات يمد ويجزر في نفسي. كانت المسودة الأولى على هيئة بحث كأية بحث.

لكنني ارتأيتُ أنْ أغيِّر الأسلوبَ ليكون متاحاً للجميع عمراً وتعليماً وجنساً. الصعبُ في هذا البحث: الاختصار، والأسهل التطويل والإسهاب. وسأحاول جاهداً أن أحافظ على الاختصار. لم أتقيد بصرامة البحث العلمي. فهو بحث وحوار وأسئلة ونقاش واقتراحات.

أذكِّرُ: بأن البحث قائم على حوار عقلي مع شخص يظنُّ: أنَّ القرآن الكريم تأليف بشري. هذا تذكير مهم للقارئ. قد يعترضُ قارئ بقوله: كيف تستدلُ بالقرآن والذي تحاوره لا يقبله دليلاً ؟

الجواب الأول: خاطب القرآن الكريم العقل والإنسان وعرضَ عليه أدلته، فهو برهان دائم لمن عاصر النبوة ولمن جاء بعد النبوة، سأعرضُ الدليل العقلي الذي قد تقبله وقد ترفضه. فلم استل إلا المعنى العقلي من الآية.

الجواب الثاني: المعنى العقلي الذي قصدته هو عرض الاستنباط المستل من الآية على منطقك وحواسك وتصوراتك لتسأل هل يمكن هذا ؟. العلم التجريبي المعاصر قائم على الحس والقياس، لا غيبَ فيه. وليس هذا عيبا أو ذما في الباحثين والعلماء – وهو ليس من خُلقِي - لأن هذا هو مقدورنا البشري. قد يصل الباحثان إلى نفس النتيجة لكنَّ تفسيرهما قد يختلف للظاهرة العلمية. وهذا هو طبيعة العلم.

لا يتناول العلم التجريبي المعاصر في المعامل أو في المعادلات الرياضية موضوعات الغيب بالدراسة كالإيمان بالله – سبحانه وتعالى – ولا يتناول دراسة الرسل والأنبياء، والملائكة، والجنة والنار، ونعيم القبر وعذابه، وحياة البرزخ والبعث والصراط والميزان والحساب. لأنَّ الغيب غير خاضع للتجريب والقياس. وهذا منطق الوضعية المنطقية إلا إنهم جعلوه أسلوب حياة وليس طريقة في دراسة العلم.

الجواب الثالث والأهم: خاطب القرآن الكريم عقل الإنسان ليتأمل ويفحص ويحلل ويقارن. وطالب القرآن الكريم بالنظر والتعقل والتفكر. ويطالب استخدام وظيفة العقل بل ويطالب بالبراهين والأدلة. فهو لا يلغِ عقلك، بل يطالب بالتعقل والتفكر والنظر. وليس ثمة تعارض بين العقل والإيمان عند المسلمين ولن يكون.

لنشرع في البحث وسيكون على هيئة عناصر منفصلة حينا ومترابطة حينا:

(١) هل ادَّعى محمد عليه الصلاة والسلام تأليف القرآن

هل ألفَّ محمد ﷺ كتابا قبل القرآن؟ هل كانت له محاولات أدبية ؟ هل كان لمحمد ﷺ خبرة في التأليف؟ هل ألقى قصيدة في سوق عكاظ ؟ هل كان ينْظمُ الشعر؟

كتاب بشهرة القرآن الكريم، ومع هذا ﷺ نفى تأليفه له، قد لا ترَ هذا غريباً، أما أنا فأتعجب لماذا لم يتبنى تأليفه. كان بوسعهِ، لكنه لم يفعل. كتابٌ بهذه المكانة التي ملأ الدنيا قديما وحديثا وكل عصرٍ إعجاباً وبحثا ودراسة، كان الأحرى به أن يقبلَ دعوى تأليفه لكنه لم يفعل !.

يعرفُ أهل مكة وقريش محمدا ﷺ حق المعرفة. فمن ثقتهم به وبصدقه أنهم كانوا يضعون أماناتِهم عنده. بل وارتضوه حكما عند بناء الكعبة. وهو معروف لديهم لأنه حفيد سيد قريش عبد المطلب، والذي هو سيدٌ من سادات العرب. وتعرفه قريش بأنه لا يكتب، وليس الأمية عيبا عندهم؛ لأن أغلبهم كذلك.

ومع هذه الخصائص التي تحيطه فهو لم يدّعي تأليفه، بل أنكر تأليفه، ولا حاجة لأن يقدم برهانا لهم: أنتم تعرفون بأنني لا أعرف الكتابة ولا القراءة. مع أنه في أية مجتمع أُمّي يبز كاتبهم للحاجة إليه في قراءة رسالة أو توثيق دين وغيره. تأملْ عقليا في الآية "وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ" العنكبوت ٤٨ .

تخبرنا آية سورة العنكبوت السابقة بأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ولم يخط بيمينه كتابا. فلم تكن عنده هاتين المهارتين القراءة والكتابة، ولو كانتا عنده لربما ارتاب شخص وشكَّ بأن القرآن تأليفا بشريا. وهو الذي وقع فيه بعض الناس . ولو كان تأليفا بشريا لصار القرآن قضية شخصية، وهو ليس كذلك. فكيف لرجل لا يعرف القراءة والكتابة يجيء بالقرآن ؟ ولم يقف الأمر عند نفيه تأليفه، بل تحداهم أن يجيئوا بمثله. ولو حاولوا واجتمعوا لم يفعلوا ولن يفعلوا !.

" أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ " الطور ٣٣-٣٤

إذا هو تقوله كما زعموا، فلمَ هم لا يتقولون مثله أيضا، وخاصة أنَّ عندهم من المهارات الشعرية والكلامية والفصاحة والبيان ما ليس عند غيرهم.

لم تنقل العرب عنه قصيدة شعرية ولا كتابا قبله. اعتمدت العرب السمعَ في نقل الأخبار والشعر وقصص التاريخ وحكايات العرب وغيرهم. وتتذوق العرب الشعر وهو وسيلتها الإعلامية الرئيسية حينذاك. تنتشر شهرة الشاعر وتنتشر قصائده بينهم. وترتفع قبيلة وتنخفض بشاعرها. وتتناقل العرب الأخبار سمعا لا كتابة.

يحفظ الواحد منهم قصيدة من سماعٍ لمرة واحدة ولو كانت مائة بيت. يعيدها كما سمعها أول مرة، ولا يخرمُ منها حرفا ولا حركة، هذا أمر معروفٌ مشهور بينهم.

والمعتاد، أن المرء يحذق مهارة وهواية بالعمل والممارسة والمران بفترة سواء طالت أم قصرت. ولا يجيء حذقه لمهارة إلا بعد محاولات مستمرة دائمة مع مضي السنين. وهذا هو الطبيعي بين البشر. لكنه بالتأكيد لا يحذق المهارة فجأة في ليلة وضحاها ومن أول مرة.

ولو حاولنا تطبيق هذا على محمد عليه الصلاة والسلام مع القرآن: فليس عنده خبرات سابقة، ولم يتلقى تدريبا في الكتابة والتأليف، مع إنَّ بعض آيي القرآن الكريم غيبا في أخبار الأمم السابقة وأخبار الغيب من ملائكة وجنة ونار وغيره. وكثير منه لا يعرفه بشر قبله.

ومن الأمور الغريبة المدهشة على بلاغته وفصاحته لم يسجل التاريخ له عملاً أدبياً سابقا !. نفى عن نفسه الشعر. ولو حاوله لا يحسنه. وجاء مرة ببيت شعر مكسور. ثم يجيء بكتابٍ مع كل الأسباب السابقة التي لا تؤهله لذلك !. ثم كتابه أعجزَ البلغاء والشعراء وفصحاء العرب. جاء الكتاب بهذه القوة من أول محاولة دون أية سابقة أدبية. أليس في الأمر غرابة !. ولا يقف الأمرُ عند هذا، بل تحداهم بأن يجيئوا بمثله !.

ألا ترى أن القرآن خاطب عقلك وخبرتك في الوصف وفي التعليل ؟. كيف جاء بالكتاب وهو غير مؤهل !.

" قُل لَّوْ شَاء اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ" يونس ١٦

" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " الشورى ٥٢ .

في الآيتين السابقتين من سورتي يونس والشورى تأكيدٌ بوضوح كامل بأنه أمضى عمراً بين قومه في مكة ولم يعرفوا عنه القراءة والكتابة. لم يقل لهم كنت أديبا وشاعرا لكنني أخفيت مهاراتي عنكم. إنما قال لهم أنتم تعرفونني جيدا وعشت بينكم ولم أتلو كتابا قبله عليكم. هل تعرف ماذا فعل الآن ؟
هو قال لهم أنا لا أملك القدرات على تأليف كتاب ولم أكن كاتبا ولم اقرأه عليكم من قبل لكنني أنا الذي جئت به فآمنوا به ؟!.

قبلُ، هو نفسه لا يعلم محتوى الكتاب من تفصيلات تاريخية ماضية وحاضرة ومستقبلية، وغيبية في العقائد، والأحكام التشريعية في جميع جوانب الإنسان المختلفة فردا وأسرة ومجتمعا ودولة وعلاقات دولية. ولم يعلم عقائد المخالفين من نصارى ويهود ووثنيين على التفصيل. ثم يجيئك بكل هذا وأكثر !.

(٢) أين الأقلام والأحبار التي استخدمها في التأليف

لنبحث في الوسائل المادية التي تعين المرء على الكتابة ونتساءل: هل في بيته ﷺ أدوات الكتابة؟

هل وجدوا عنده محبرة، أو قصباً أو ريشة أو قلماً؟ هو بين أناس أنكروا دعوته ورفضوها. فسوف يلتمسون أدنى دليل للرد عليه، ما رأوا في يديه بقع الحبر، وليس على ثوبه سواد الحبر، هل هو يكتب بالليل والنهار؟ هل تتصور الكتابة في الليل في ذلك العصر بلا كهرباء!. ثم الكميات هذه من الحبر أين ستحفظ؟ الحبر حرفة وصناعة.

" وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " لقمان ٢٧

ثم يزيدني عجباً: قوله لو أنَّ المداد والحبر بمقدار حجم سبعة أبحر مع البحر الموجود، وكل الشجر أقلام للكتابة لما كان كافيا لكلامه.

لو افترضنا بأنَّ محمداً ﷺ احتاج إلى حبر بكمية البحر وسبعة أبحر! فسيثير غرابتي: أين سيحفظ هذا المداد وكيف سيخزنه في مكان يسع هذا الكم من الحبر، فضلاً على أنَّ العمر الزمني لكيميائيته ستفسد مع الوقت؛ لعدم استهلاكه في فترة الصلاحية، والأصعب من هذا: كيف ستتخلص من الحبر التالف!.

ولك أن تجيب : لن يفعل ذلك دفعة واحدة، إنما يصنع حبرا مقدار حاجته حين الكتابة. قلتُ: ممكن. لكن ضع في اعتبارك ثمانية أبحر ؟!.

لك أن تتصور ثمانية أضعاف ماء البحر الموجود على الأرض، والذي يشكل فيها الماء ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تقريبا، فكم طبقة من الحبر ستغطي الأرض!.

تتزايد غرابتي ودهشتي ليس بكمية المداد فحسب، بل إن أشجار الأرض لن تكفي أقلاما لكلامه، هل يقول مؤلف مثل هذا؟!

هل جربتَ الكتابة بالقلم الحبر السائل ؟ وأدركت كم تحتاج منه لتكتب به كتابا ؟ ربما حبرنا العصري لا يعطِ تقديرا صحيحاً؛ لأننا نحتاج أن نقدر المداد في زمن مكة، هل هذا الادعاء يقول به بشر: ثمانية أبحر من المداد وأشجار الأرض أقلاما لن تكفي كتابة كلامه ! .

ويتبعُ هذا سؤالٌ آخر: كم يحتاج الشخص من العمر لينفدَ هذا الحبر!. سيموت ويفنى، ويبقى الحبر، قصدتُ: أنه لم يُعرَف عنه الكتابةَ وليست أدواتها في بيته، فكيف يقدر هذا التقدير الذي لا يخطر على قلب مؤلف.

لم يقل هذا هازلاً - حاشا وكلا - بل واثقا متيقنا بهذا التقدير وأكثر.

لنقوم بعملية حسابية بسيطة لنرى هذه الأبحر الثمانية كم ستكون قارورة حبر.

وفق إحصائية خدمات المحيطات الوطنية الرسمية الأمريكية [1]:

كمية بحار الأرض الحالية تعبئ: ٣٥٢,٦٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ قارورة حليب.

" NOAA's National Geophysical Data Center estimates that ٣٢١,٠٠٣,٢٧١ cubic miles is in the ocean. That's enough water to fill about ٣٥٢,٦٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ gallon-sized milk containers! "

ترجمة نص مركز البيانات الجيوفيزيائية الوطني:

" يقدر مركز البيانات الجيوفيزيائية الوطني التابع لـ NOAA أن هناك ٣٢١,٠٠٣,٢٧١ ميلًا مكعبًا في المحيط. وهذا ما يكفي من الماء لملء حوالي ٣٥٢,٦٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جالونًا من حاويات الحليب! "

الكوينتليون : واحد وعلى يمينه ١٨ صفرا

كوادريليون : واحد وعلى يمينه ١٥صفرا

قراءة الرقم كتابة: ثلاثمئة واثنان وخمسون كوينتيليون وستمئة وسبعون كوادريليون

شكل (١) نماذج من جالون الحليب





نريد أن نحول السبعة أبحر إلى حبر في قوارير صغيرة. على افتراض أن جالون الحليب الواحد يعبئ عشرين قارورة حبر. ستصير المعادلة على هذا النحو

[1] https://oceanservice.noaa.gov/facts/oceanwater.html

عدد قوارير الحبر لثمانية أبحر	
عدد الجوالين لبحر واحد	352,670,000,000,000,000
	بافتراض كل جالون يعبئ ٢٠ قارورة حبر
عدد قوارير الحبر لبحر واحد X٢٠	7,053,400,000,000,000,000
ثمانية أبحر	x8
عدد قوارير الحبر لثمانية أبحر	56,427,200,000,000,000,000

لنفكر بطريقة أخرى: الخطاط العالمي المشهور عثمان طه كاتب المصاحف في المدينة المنورة، يستغرق منه كتابة مصحف واحد عامين تقريباً كما ذكر في مقابلة تلفزيونية. لنفترض افتراضا أنه يحتاج إلى ألف (١٠٠٠) قارورة حبر في العامين. وضع نسبة خطأ ١٠% فقل (١١٠٠) قارورة مع افتراض نسبة الخطأ.

لو قسمنا مجموع عدد قوارير الحبر لثمانية بحار على ما يستهلكه الخطاط في العام الواحد من قارورة، فكم عامٍ سيصير عنده لكتابة المصاحف بهذه الكمية من الحبر. بناء المعادلة: في العامين يحتاج إلى ألف ومائة قارورة حبر (١١٠٠). وللعام الواحد يحتاج نصفها خمسمائة وخمسون قارورة حبر (٥٥٠)

عدد الأعوام لاستهلاك كمية الحبر لبحر واحد وثمانية أبحر	
عدد قوارير الحبر لبحر واحد	**7,053,400,000,000,000,000**
عدد قوارير الحبر لثمانية أبحر	**56,427,200,000,000,000,000**
كم عام لبحر واحد تقسيم على ٥٥٠	**12,824,363,636,363,600,000**
كم عام لثمانية أبحر: ضرب ٨	**51,297,454,545,454,500,000**

هل يحتاج إلى كتابة كلام عن مجموع هذه القوارير !. ولو افترضنا أنه احتاجها وتوفرت، هل سيكون عنده من العمر والحياة لهذا الكلام وأعوامها ؟!. النبي محمد ﷺ توفي وعمره ثلاثة وستون عاماً، ثلاثة وعشرون منها فقط زمن النبوة.

لنتصور كم قارورة حبر يحتاجها أثناء النبوة ٢٣ عاما بضرب ٥٥٠ قارورة حبر في العام = ١٢٦٥٠ قارورة تقريبا ٦٣٣ جالونا. والبحر الواحد يعادل ٣٥٢,٦٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جالونًا من قوارير الحليب. تأمل فيما يحتاجه وقارنه بالبحر الواحد.

هذا مثال تقريبي فقط لاستيعاب معنى ثمانية أبحر من الحبر. لم نتحدث عن حساب الأقلام من الشجر. فلو صارت كل الأشجار أقلاما فكم يا ترى عدد الأقلام !.

وأخيرا، ألا يتعب إنسان لو كان كلامه ثمانية أبحر. نحن نعايش أئمة المساجد في تراويح رمضان الذي لا يجيء آخر الشهر إلا والإمام مجهد ومتعب من القراءة وهو يقرأ فقط لساعة أو لساعتين في ليلة كحدٍ أقصى. هل تريدني أن أحول الثمانية أبحر إلى ساعات !.

(٣) لماذا كتبَ محمد عليه الصلاة والسلام وألفَّ القرآن

أرى هذا عنصراً متناقضاً مع العنصرين السابقين: هو أنكر تأليفه، وليس عنده أدوات الكتابة، إذن لماذا قام بتأليفه ؟ هل ليتكسب به مالاً ؟ لشهرة ؟ هواية ؟ حرفة ؟ مدمن كتابة ؟ تنفيساً مما يلقى ؟ خداعاً ؟ مشاركة المجتمع ؟ طلب منصب ورئاسة ؟ وغير ذلك من الأسباب والدوافع.

أحاولُ أن أضعَ أسباباً تدفع أية كاتب للكتابة والتأليف، ولك أن تضيف أسباباً من عندك إذا شئت. لكنه أنكر تأليفه، فكيف سيتكسب به مالاً، ويحقق به شهرة. أخبرنا تاريخ السيرة النبوية أنَّ أهل مكة عرضوا عليه الرئاسة والأموال والمغريات بشرط أن يكفَّ ويتوقفَ عما دعا إليه. لكنه رفضَ كل هذه العطاءات والحوافز.

(٤) هل يؤلف شخص كتاباً، لم يتوقعه ولم يتهيأ له ولا يعرفه

أرى أنَّ هذا العنصرَ ظريفا. هو ليس بكاتبٍ، وليس عنده أدوات الكتابة، وأنكر تأليفه، وعرضت عليه المغريات ورفض. ولا زلتَ أنتَ مصرٌ على دعوى تأليفه !. ألا يثيرُ رفضه عندك غرابة ؟. هبْ أنه ألفهُ وخدعهم بإنكار تأليفه ؟ واعتذر عن هذه قسوة العبارة.

لنقل بعبارة أخرى: هم يريدون توريطه ونصْبَ مصيدةً له يجعلونه يدعي تأليفه وهم يعرفون بأنه لا يحسن الكتابة، فيقولون له: كذبتَ ليس من تأليفك؛ لأنك لا تعرف الكتابة، فيقوضون دعوته بكاملها لكنَّ هذا لم يحدث. وصفت آية الشورى حاله قبل النبوة بأنه لم يدري ما الكتاب ولا الإيمان.

" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " الشورى ٥٢

لو أقرَّ بأنه هو الذي ألف القرآن الكريم فسيخسر دعوته؛ لأنه لا يستطيع تأليفه على مستويين: الأسلوب ومحتوى الكتاب. مثلا في المحتوى: كيف وصف الجنة والنار وهي غيب في المستقبل. ووصف بدء خلق الإنسان والكون والسموات والأرض وهو ماض لم يحضره وغير ذلك مما سيجيْ الحديث عنه لاحقا.
فإذا لم يدرِ ما الكتاب ولا الإيمان، فكيف درى ؟.

(٥) التأليف والتصحيح والمسودات قبل التأليف الأخير

عندما يكتب كاتب كتابا أو مقالة أو بحثا، بل حتى في كتابة العبارات القصيرة في التواصل المعاصر الحديث، يحتاج المرء إلى أن يراجع ويصحح وألا يستعجل ويتمهل ويتوثق من المعلومة بحثاً ودراسة. هذا هو الأمر الطبيعي كبشر. بل بعدما يكتب وينشر، يراوده الشعور المتردد: ليته كتب كذا، ليت هذه الكلمة بدل تلك. وربما راوده شعور التحسر بأنه لم يكتب ما كتب.

السؤال: هل حدث هذا التردد والمراجعة مع القرآن الكريم؟

لا تقلْ لي إذا كان القرآن الكريم تأليفاً بشرياً، بأنه لم يكن له مسودات وتعديلات ؟!

السؤال: أين هذه المسودات الأولى للقرآن الكريم التي جرى عليها التعديل ؟.

في القرآن الكريم نسخ لحكم شرعي بآخر. أو تدرج في عرض حكم شرعي. ولا يتجاوز النسخ لبعض الأحكام الشرعية أصابع اليد. والنسخ لبعض الأوامر الشرعية فقط. وهذا ميزة وليس نقصا. لأنه ليس في القرآن نسخ لأخبار الغيب وقصص الأنبياء والرسل، ولا نسخ لقصص الأمم السابقة ولا نسخ لقصة الإيمان. ولا نسخ لغيب الجنة والنار.

كتاب بهذا المستوى ليس له مسودات عند مؤلفه. هذا لا يمكن أن يفعله أية مؤلف، لا يمكن أن تفعله حتى أنت. أن تؤلف بلا تعديلات وبلا مسودات. والمعتاد عند البعض أن يعرضَ نسخةً من كتابه على البعض ممن يرجو عندهم مشورة وملاحظة قبل أن ينشره للناس. هذا كله لم يكن مع القرآن الكريم. بماذا تفسرُ هذا ؟.

قصدتُ: كيف لا يكون لكتاب بحجم القرآن الكريم مسودات وتعديلات ومراجعات لأنه الأمر الطبيعي في التأليف. لماذا القرآن اسْتُثنِي من هذا ؟ هل أنت متصورٌ عما نتحدث عنه؟.

" وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ " العنكبوت ٤٨

والأغرب من هذا حفظ مواضع الآيات – وهذه يستحق إفراده كعنصر - ولم أفعل للتقليل من حجم البحث - .
كما تعلم، لم ينزل القرآن دفعة واحدة. إنما نزل منجما متفرقا خلال ثلاثة وعشرين عاما. وكان يأمر صلى الله عليه وسلم كَتَبَةَ الوحي بأن يضعوا الآيات الجديدة في مواضعها المتفرقة من سور القرآن الكريم.
وهذا أمر عسير جدا لمن جرَّب الكتابة.

افترضْ بأنك كتبت مئة مقالة في سنوات متفرقة. وسُئلتَ بعد سنوات عن حديث ذكرته في أحد مقالاتك. هل يمكنك تذكر ذلك الحديث بخصوصه في أية مقالة ؟. ولو أردت إضافة سطرٍ لمقالة، هل تجد من السهولة تحديد ذلك المقال وموضعه بدقة وبدون تردد لتضيف السطر الجديد؟!.
وقد يتقادم بك العمر وتنسى حتى ما كتبت. بل ربما في بعض الأحيان بعد قراءة ما كتبت، قد تتساءل هل أنا كتبت هذا ؟!. والسؤال: ولو كان له مسودات أين حُفِظت في عالم ليس فيه ورق ولا كمبيوترات. وكم من المساحات المكانية يُحتاجُ إليها لحفظ المواد التي كُتِبَ عليها من جلود وعظام ! مع مراعاة عوامل الرطوبة والحرارة في التأثير على ألواح الكتابة. كيف كل هذا حفظ ؟!.

(٦) لو أضاف آية أو عدَّل كلمةً لأُنتقِمَ منه

دعك من المسودات الآن، ولسنا بطلب تعديلات، بل لو عدّلَ المؤلفُ وغيَّر في الكتاب لقُتِل؟! أأنتَ متصور ما نحن فيه ! " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ أَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ " الحاقة ٤٤- ٤٧ .

معنى المفردات: تقوَّل: كذب. الوتين: العِرْق المتصل بالقلب.

نحن في مشكلة أخرى: لو عدَّل في القرآن وغيَّر فيه، لأُنتقِمَ منه بقطع عروق قلبه. أليس الكلام كله من عنده ! وهنا يقول: لو تقوَّل بشيء من عنده لهلك، أيقول: أنا ألفتُ الكتاب، ولو أضفتُ كلاماً جديدا سأقتلُ بقطع عروق قلبي.

انظر في الفعل " لقطعنا " من الذي سيقطعه؟ ويقول لك واثقا بأنه سيقطع: ولن يستطيع أحد أن يمنعه عن ذلك.

انظر معي في الآية التالية: اقترح عليه أهل مكة أن يغير في القرآن أو أن يبدله.

" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " يونس ١٥ .
وما الإشكال في أن يغير ويبدل؛ لأن هذا المعتاد من أية كاتب أن يغير ويعدل ويحذف ويزيد. هذا يفعله كل الكتاب. لكن جوابه عجيب من وجوه كثيرة. لكن جوابين هما الشاهدان المتعلقان ببحثنا وهما:

الأول: بأنه لا يستطيع أن يغير فيه من تلقاء نفسه. والثاني: يخشى لو فعل، أن يعاقب.

وعجب آخر في آية سورة الشورى: " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " الشورى ٢٤.

تصوَّر هذا المعنى: يقول باعتبار هو الذي ألفه. قال: لو أنا أدعيته أو افتريته فكل هذا الكتاب سيمحى من صدري، كيف هدَّد نفسه بأن كتابه سيمحى من صدره !. لو كان هو الذي ألفه، ما عليه سوى أن يصمت ويمزق جميع ما كتب.

سؤال: ماذا تفعل لمحو شيئا من نفسك أو من ذاكرتك أو من حفظك أو من قلبك؟!. ما هي الوسائل التي ستفعلها؟. هل بمقدورك هذا؟

هذا خارج عن كل قدراتك !. لكي تحقق المحو، افعل عكس وسائل تقوية الحفظ، مثلاً: التكرار يساعد على الحفظ، فلا تكرر. كثرة الاستخدام والتعرض للشيء، فلا تستخدم ولا تتعرض. عامل العمر، كلما زاد العمر ضعفت الذاكرة فهذا تلقائي سيمحو ما في حفظك، وغيره من الوسائل التي ستمحو الحفظ، لكن أن تمحوَ معلومة محفوظة محددة ولا غيرها من سائر ما في الحفظ، من يستطيع فعل هذا؟ هل أنت تستطيع أن تقصد في لحظة أن تنسى محفوظاً معيناً ؟ إذا لا يستطيع أحد أن يفعل ذلك، فكيف ادَّعاه إذن؟!

بكل بساطة لكي نرد دعوته، نقول له: امحُ ما في صدرك من القرآن فقط، ثم من الذي سيوقعُ فِعل المحو؟!.

من الذي أخبر بمحو ما في الصدر؟!. هل كان هو قادرا على أن يؤلفه ليمحوه؟ ثم هذه الدعوى دعوى التأليف، لم يدَّعِه أصلاً ليقول سأمحو ما في صدري من القرآن.

ثم ممكن أن نعارضه بالقرآن نفسه لتناقض المؤلف مع نفسه، تأملْ معي: حرص المؤلف على الحفظ في أن يردد ويكرر ما يسمع ليحفظ.

في سورة القيامة " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ " القيامة ١٦-١٩.

كان حريصا على حفظ القرآن في صدره؛ فكان حين يوحى إليه بسماعه، يكرر مع الإلقاء ليحفظه وجاء في صحيح البخاري أنه كان يعاني شدة أثناء ذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فجاء الأمر إليه بالاستماع، ولا يكرر ولا يردد أثناء سماع الوحي، جاء في التفسير المختصر: "لا تحرِّك -أيها الرسول- لسانك بالقرآن مُتَعَجِّلًا أن ينفلت منك" انظر في تفسير: متعجلا أن ينفلت منك، أي: ينفلت منك الحفظ فهو حريص على الحفظ، فكيف يهددهم في آية سورة الشورى بأنه سيمحوه من صدره بنفسه، هل يقول مؤلف بمثل هذا ؟! هو حريص على الحفظ ثم يقول سأمحو حفظي!

(٧) التأليف بين أهل اللغة وشعرائهم وأدبائهم وفصحائهم

تتذوقُ العربُ الكلام وتتناقله وتتأثر به. ومن يعرف بعض اللغات الأخرى، سيرى أنَّ اللغة العربية تتميز بقدرتها الفائقة على دقة التعبير والوصف. فهي لغة غنية ثرية كثيرة الألفاظ والتصاريف. هبْ أنك تريدُ أن تقول أنك مظلوم باللغة الإنجليزية: يعجز البعض أن يجد ترجمة لكلمة عربية بالإنجليزية بدقة العربية، مرونة الاشتقاق في العربية تمكنك من الوصف الدقيق، مثال: ظلمَ يظلمُ ظلمًا ظالمٌ مظلومٌ مظلومًا، ظُلِم..الخ. ابحث في اللغة الإنجليزية بهذه المعاني ربما تجد، لكن بكلمات مختلفة، ليس من نفس الجذر.

انظر مثلا إلى: مشكلة المذكر والمؤنث في اللغات الأخرى

You are good

لا تستطع أن تحدد بأن المخاطَب ذكر أو أنثى. فهل المقصود : أنتَ جيد أو أنتِ جيدة ؟

They come من الذي جاء ؟ رجال أم نساء ؟ أم خليط ؟

في اللغة العربية من الضمير يمكنك أن تحدد نوع المخاطب ذكرا أم أنثى : هم جاءوا / هنَّ جئنَّ.

انظر إلى العربية: أنتَ جيدٌ، أنتِ جيدةٌ، جاءوا متأخرين، جئن متأخرات، من جئن تعرف بأن اللاتي جئن نساء. ومن حركة الفتح والكسرة في أنت عرفتَ جنس الشخص الذي جاء أو جاءت. إذا قلت: جاءا، فستعرف عدد اللذين جاءا بأنهما شخصين.

مثال آخر على دقة العربية في الوصف: تدرج الزمن في اللغة: تقول: غدا للذي جاء مبكراً قبل طلوع الشمس، ثم لو جاء بعد طلوع الشمس تقول: أصبح، ثم أضحى وهكذا، ظهرا، مساءً، عصرا، أصيلا، مغربا، عشاءً، ليلاً فجراً، هذا لا تجده في كل لغة.

لو قلتَ لقارئ أو مستمعٍ: سريتُ متعباً، سيفهم القارئ بأنَّ سفرك كان ليلاً؛ لأن السرى لا يكون إلا في الليل، فالعربية بليغة في الوصف.

قلتُ هذا لتدركَ أن تميز اللغة العربية ومرونتها وخصائصها وفقهها، يزيد الصعوبة على المؤلف. فهو يخاطب عقلاء وحكماء وشعراء وبلغاء العرب، فهم ينقدون الحرفَ قبل نقدهم للكلمة والجملة. فكيف تخطَّى كل هؤلاء بكتابهِ ونال إعجابهم ليس في صفحة أو صفحات معدودة بل في حجمٍ بحجم القرآن الكريم. ولم يقف الأمر عند هذا بل تحداهم أن يجيئوا بمثله ! هذا أمر صعبٌ.

ومع بلاغة العرب وحسن بيانهم وفصاحتهم، سلبَ القرآن عقولهم وألسنتهم أسلوبا ولفظا ومعنى. وليس لفئة عن فئة، بل كل الفئات، هل يمكن هذا لمؤلف أن يحظى بمثل هذا في بيئة مثل هذه !. والمؤلف الذي أتهمته لا زال ينكره وأنه ليس من تأليفه، ليست القضية في الأسلوب فقط، بل وفي المحتوى أيضاً.

جاء في آية سورة الإسراء " قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " الآية ٨٨. ومعنى " ظهيرا " أي معاونا وداعما ومساعدا.

أقول لو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، لن يفعلوا. فكيف لو جاء بعض بلغاء مكة وشعرائهم ماذا عساهم أن يفعلوا ؟!.

(٨) نزول القرآن في ليلة القدر

" إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ " القدر ١-٢ .

يقول لك أنه أنزله في ليلة القدر التي هي ليلة مجهولة عند كل المسلمين، حتى هي ليلة مجهولة للنبي محمد ﷺ. وكان من عادته ﷺ اجتهاده في العشر الأواخر من رمضان ليصيب أجرَ وخيرَ قيام ليلة القدر. أيقولُ لك: أنا أنزلتُ القرآنَ في ليلة القدر التي أتصيدها وأنتظرها والتي لا أعلم متى تقع ؟!. وأخبر عن نفس الليلة بنزول الملائكة ومعهم جبريل. والملائكة خلق غيب لا يُرى.
وأمر آخر: هل يؤلفُ شخص كتابا ويقول: أنزلته ! . فالمعتاد أن يقول الكاتب: ألفته، طبعته، صنفته، نشرته، أعددته، جمعته. كيف تؤلفُ كتابا بقولكَ: أنزلتُ كتابا ؟!

يشغلني من حين إلى حين الأفعال في القرآن الكريم. في الفرق بين أفعال الله عز وجل وأفعال البشر. ومنها ما تحدثنا عنه وهو الفعل : أنزل

(٩) الثقة واليقين عند المتكلم

لا يقف الأمر عند اللغة وأسلوبها وبلاغتها فقط. بل وفي الثقة واليقين عند المتكلم بأن ما يقوله حقا لا ريبَ ولا شك فيه البتة، فهو يتحدى ويقول لك جيء بعشر سور مثله، جيء بسورة، بآية أقصر ُسورةٍ في القرآن من ثلاث آيات: سورة الكوثر.

سأساعدك في تأليف قرآنٍ، سأساعدك في آية واحدة: (آلم) وأنت أكمل الباقي بآيتين، ابدأ، والله لن تستطيع، والله وربي لن تستطيع أن تجيء بآيتين، أتعرفُ لماذا لا تستطيع؟ لأنك بشر في الأسلوب والمحتوى.

يتحدى القرآن أن يجيء أحد بمثله ! ويقول له لن تستطيع. يعني: لو جئت بسورة من ثلاث آيات لكذبتَ القرآن وفزتَ بالتحدي، لكنك لن تستطيع، هذا ليس إيحاء وخداعاً كالتسويق المعاصر؛ ليقنعك بعدم قدرتك، لا، ليس الأمر كذلك.

إنَّ كلام الله عز وجل صفة من صفاته، فكما أنّ سَمعنا ليس كسمع الله عز وجل، وبصرنا ليس كبصر الله عز وجل، وعلمنا ليس كعلم الله عز وجل، وقدرتنا ليست كقدرة الله عز وجل، وهذا يجري على سائر صفاته سبحانه وتعالى، فكذلك كلام الله عز وجل ليس ككلامنا، ولا حاجة إلى القول بالصَرَفة البتة.

معنى الصَرَفة: هو القول بأن البشر يستطيعون تأليف مثل القرآن، لكن الله صرفهم عنه. ويُردُ على هؤلاء بنفس الأسلوب: هل يستطيع البشر أن يروا كما يرى الله ! فسيكون جوابهم: نعم، وتعليلهم: لكن الله صرف أبصارهم، وأن البشر يستطيعون أن يسمعوا ما يسمعه الله عز وجل لكن الله صرف أسماعهم وهكذا على سائر الصفات. هذا كلام باطل لأن قدراتنا البشرية محدودة. ثم القرآن ليس أسلوباً ولغة فقط، بل الأمر أكبر من ذلك بكثير، محتوى القرآن ليس محتوىً بشرياً.

انظر إلى اليقين والثقة بكلامه: يقول لأهل مكة بأنه أُعرِج وأسري به في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس وعُرِج به إلى السماء السابعة، ورجع نفس الليلة. لو كان شخص مؤلفا للكتاب لن يقول لهم هذا؛ لأنهم جزماً سيتهمونه بالجنون. وبمثل هذا هو يقوّضُ كتابه ودعوته. لكنه يقول لهم هذا بيقين لا يخالطه أدنى ذرة شك أو ريب. أرأيت مثل هذا المحتوى؟! ومثل هذه الغرابة، إخباره عن رجلٍ مات مائة عام مع حماره وطعامه بقي مائة لم يتغير، وإخباره عن تصرفات اليهود والنصارى وأخبارَهم في القرآن، سأوضح هذا بمزيد تفصيل في عنصر منفصل.

ترى ثقة ويقين المتكلم في القرآن، ترى ثقته وصدقه بما يخبر ويقول لك هذا كلام لا شك فيه.

هل كان بمقدور محمد ﷺ أن يمتلك هذه الثقة بما أخبر ولو لم يقبله العقل من أول وهلة. بعض الفيزيائيين الفلكيين من المسلمين ينكر انشقاق القمر؛ لأنه لا يتصورْ وقوعه فلكيا. وأهل مكة رأوا القمر قسمين في جهتين وغار حراء بينهما. هم رأوه بأعينهم، وصاحبنا في القرن العشرين ينكره. هم أولى بالإنكار منه، هم عاصروا الحادثة وكان يمكنهم أن ينكروا وقوعها، لكنها وقعت. قال لهم: " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ " القمر ١.
قصدتُ: أنَّ هذه فرصة مناسبة للمعارضين بأن يحتجوا بكذب ما أخبر عن انشقاق القمر، هل فعلوا؟ لم يفعلوا؛ لأن القمر انشق، وكما في رواية صحيح البخاري رحمه الله، كان غار حراء بينهما.

(١٠) لماذا يتهمونه ويعترضونه، أسهل طريق وأقصره أن يؤلفوا كتابا مثله

هو تحداهم بالقرآن: جيئوا بمثله، لماذا لم يجيئوا بمثله؟! لا أظنني سأذكر محاولات مسيلمة وسُجاعة الكاذبيْن؛ لأن البحث أرقى من هذا، إذا كان الكلام من تأليف محمد ﷺ، أفلا يمكنُ خلال خمسة عشر قرنا أن يجيء شخص بمثل ما جاء. أليس هو مجهود بشري في ظن البعض. بل المتوقع أن يجيءَ شخصٌ بأفضل مما جاء في القرآن خلال هذه القرون، لكنه لم يحدث، حاولت قريش بكل وسيلة محاربة النبي ﷺ، لماذا لم تحاربه بقرآن مثله ؟!. هل كان الأمر مجرد لغة ومهارات وأساليب لغوية ؟!

(١١) كيف كتبه عربيا خالصا والذي علمه أعجمي لا يحسن العربية

زعم المعارضون: بأن القرآن كُتب بتعليم أعجمي له. كان الأولى بهم وهم أرباب الكلام أن يدَّعونه لأنفسهم، بأن يقولوا نحن ساعدناك في تأليف القرآن لكنهم لم يفعلوا؛ لأنهم لم يساعدوه. لكنهم جاءوا بعيبٍ يعيبه فقالوا: ساعده أعجمي في الكتابة، وهذا فعلا غريب !. أنتم فصحاء العرب لم تقدروا على معارضته فهل سيستطيعه الأعجمي الذي لا يحسن العربية كما تحسنونها ؟ هذا أمر غريب حقا !. ينقلبُ الدليل الباطل على صاحبه، فلا تقلْ إلا صدقاً وحقاً. " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ " النحل ١٠٣. معنى المفردات: الأعجمي: الذي لا يفصح عن مراده.

(١٢) يخبر بحكاية وشهادة لم يحضرها

هذا كثير في القرآن، بل يحيرني ماذا أنتقي من كثرته. جاء مُصرّحا بأنه لم يكن موجوداً، وأخبر أخباراً تاريخية سبقت وجوده، وأخبر أخباراً عن حال الناس بعد الموت، وهو على نفس المستوى من الثقة واليقين الذي يخبر به في سائر القرآن، هذا بحد ذاته يصلح بحثاً مستقلاً، بل وبحوثاً لنبدأ بذكر بعض المواضع التي قرر بأنه لم يكن موجوداً فيها لكن أخبر عنها.

هو يقول لك: أنا لم أكن حاضراً هذا ولم أشهده، وسأخبرك به، أأنت مستوعب هذا؟ هذا سهمٌ قاتل لكل شهادة، لو وقف شخص أمام القاضي ليدلي بشهادته عن حادثة، وفي آخر الكلام قال للقاضي: لكنني لم أكن حاضراً! بقوله هذا، سقطت شهادته، كيف شهد ولم يكن حاضرا؟! الشهادة هي وصف لما رأيت أو سمعت أو شممت أو ذقت أو لمست، الشهادة هي وصف لحاستك، فحضورك ركن رئيس للشهادة، كيف تشهد بشيء لم تحضره ولم تدركه حواسك، هنا موطن المشكلة.

المشكلة: هو يقول لك لم أكن حاضراً، أرأيت؟، ومع هذا هو واثق يقنياً بكل تأكيد بأن الذي أخبر به حق، والمشكلة الأخرى أيضاً: يذكرُ الواقعة وقد تجد الواقعة في التوراة والإنجيل، ويقول لك بأن تلك القصة في ذلك الكتاب غير صحيحة.

عجبٌ وأيما عجب! هو يقول لك أنا أعَرْفُ منكم في اختلافكم فيمن كفلَ مريم عليها السلام، ولا زال مصرِّا بأنه لم يكن حاضراً الواقعة.

والله إنه الأعجب: أن يقول للذين حضروا نفس الواقعة ورأوها وشاهدوها، يقول لهم: أنتم فعلاً رأيتم وشاهدتم، لكن تفسيركم للذي رأيتموه غير مطابق للواقع وهو لم يحضر هذا الواقع وهم حضروه. " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا " النساء ١٥٧

إنَّ الذي صُلب ليس عيسى عليه الصلاة والسلام إنما شخص يشبهه؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام رُفِع. ولا يقف القرآن الكريم عند حادثة الصلب فقط ، بل عرَض تغيير اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل.

وأعظم تغيير وأخطره:

١- تغيير الألوهية أي: الإله المستحق للعبادة وحده.
٢- تأليه الأنبياء والرسل. وأن بعض رهبان الكنيسة يغفرون للناس ذنوبهم باعترافهم لهم.
٣- تغيير الأحكام الشرعية. والزعم بتلقي الوحي والنبوءة، والتوسع في موضوع المعجزات.
٤- تقديس غير المقدس. فللأصنام والصلبان نوعا من القداسة. كما يفعل بعض المسلمين عبد ة القبور من تقديس القبور وتقديس الأشخاص. وهذا موضوع جدير بالبحث وهو القداسة عند الأديان.

يقوم دين النصرانية على ركن عظيم وهو الصلب. أخبر القرآن الكريم بأن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يصلب، بل في موضع آخر، أخبر بأنه سيرجع عيسى عليه الصلاة والسلام قبل القيامة في هذه الحياة الدنيا. وذكرت السنة النبوية الصحيحة أن عيسى عليه الصلاة والسلام سيرجع وسيكسر الصليب.

انظر في الآيات التالية لنماذج من الشهادات وهو يقر بعدم حضوره إياها .

" وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " القصص٤٤

" وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ " معنى ثاويا : مقيما بينهم ومعهم .

" ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ " آل عمران٤٤ ،

" ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ " يوسف ١٠٢ .

ذكُرِت مواضع أخرى كثيرة في القرآن الكريم، وبالتأكيد لم يكن حاضراً فيها، لم يجيء اللفظ مقراً بعدم حضوره، لكننا نفهم هذا عقلا بأنه غير موجود لعامل الزمن، انظر في الأمثلة التالية.

أخبر أنَّ خلْقَ السموات والأرض كان في ستة أيام، أربعة أيام للأرض، ويومان للسموات، لم يكن حاضراً في وقت خلْق الإنسان من طين وتراب، لم يكن حاضراً وقت حديث الملائكة، لم يكن حاضرا قصة ولدي آدم، لم يكن حاضراً حين دفن الغراب للغراب، ما جرى لآدم وحواء في الجنة، كلام الشيطان معهما وكيف أغراهما، وقل ذلك على قصص الأنبياء وردود أقوامهم، يخبرك عن سفينة نوح عليه الصلاة والسلام، وأن الطوفان بلغ الجبال، وهذه السفينة الخشبية نجت. ويخبرك عن مصادر مياه الطوفان، وكيف كل هذه المياه جفت وانقلعت، مع أن توثيق التاريخ البشري قبل الطوفان غير موجود.

يقول لك بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام رماه قومه في النار ولم يحترق، يخبرك بتفاصيل الحوار بين مريم عليها الصلاة والسلام مع المَلَك وتعوذها من ضرره حينما رأته على هيئة رجل.

نقل الحديث الشخصي ونجوى اليهود وهم بمفردهم. إخباره عن صاحب القرية، لم يكن معه أحد ليخبر هذه القصة، قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومناداته للطيور المقطعة، دعاء فرعون عند غرقه، من الذي أخبر بدعاء فرعون وهو وحده يصارع الغرق. يخبرك عن أماني الأشخاص حينما رأوا زينة قارون، قصة الخسف بقارون وبقصره. قصة فتية الكهف الذين ناموا ثلاثمائة وتسعة عام، قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر، وغير هذا كثير.

الأعجب في القصة تعليل الخضر لخرقه السفينة، ولقتله الغلام، ولبنائه الجدار، كل الدوافع لهذه الأفعال التي استفهمها موسى عليه الصلاة والسلام كانت لأمور مستقبلية، حضر موسى عليه الصلاة والسلام هذه الأحداث وعايشها، ولم يعرف لماذا الخضر فعل ذلك. ويخبرك عن صاحبي البستانين اللذين لم يكن أحد معهما من البشر. وأخبرك عن أصحاب الجنة الذي اتفقوا على صرم بستانهم صبحاً قبل إدراك المساكين.

تجد في القرآن الكريم وصفا للمشاعر الفردية حتى الذي حضرها معه لم يدركها: حديثه عن مشاعر موسى عليه الصلاة والسلام حينما أوجس في نفسه خيفة حينما رأى ما ألقاه سحرة فرعون، ومشاعره حينما آنس من جانب الطور عندما رأى هو وزوجه ناراً. وصفَ حال أشخاص في غيبته: كعض الأصابع غيظاً، يخبرك عن فرار المنافقين في غزوة الأحزاب، ويكذب لهم سبب فرارهم.

هذه الأخبار كثيرة جداً في القرآن الكريم، فقط هذه نماذج لتوضيح الفكرة، هذه قصص بشر، كيف بحديث الهدهد وحديث النملة، أأنت متصور هذا !. يخبرك بحديث سليمان عليه الصلاة والسلام مع الهدهد و يخبرك بحديث النملة وتحذيرها لقومها، هذا كله لم يحضره، ويخبرك بحدوثه.

ماذا عساكَ أن تقول عن النبي يونس عليه الصلاة والسلام الذي ابتلعه الحوت بعد أن رُمي بالبحر، ومكث ببطنه، وألقاه الحوت إلى يابسة التي أُنبِت عليها شجرة من يقطين. أنت متصور أنه في ظلمات بطن الحوت في ظلمات البحر أنَّى يذهب. حبْسٌ ليس مثله حبس !. سمع ربنا الذي حَبَسَهُ دعاءه. وأخبر القرآن عن دعائه. أأساطير الأولين أيضا ؟!. ماذا عن الجنين الذي في بطن أمه في ظلماتٍ ثلاث كيف وصله طعامه ؟!. هل هذا أساطير الأولين أيضا !. أمْ إنَّ قردةَ دارون صنعته ؟!.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ الصافات ١٣٩-١٤٦

وفي سورة الأنبياء " وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " الأنبياء ٨٧.

(١٣) من المتكلم في القرآن الكريم

هذا البحث قائم على أساس أنني أتحدث مع شخص يعتقد بأنَّ القرآن تأليف بشري، هذا تذكير مهم للقارئ، وليصحبك على امتداد هذا البحث. هذا العنصر هو لبُ البحث كله، وقصدت باللب: أن في القرآن الكريم متكلماً. (آلم) آية في القرآن الكريم أو بعض آية، لا زالت موضع بحث عند العلماء وألخصُ لك أقوال المفسرين في أمرين وهما:

الأمر الأول: أن القرآن الكريم من جنس هذه الحروف، فجيئوا بمثله، فابتداء سورة بالحروف على وجه التحدي.

والقول الثاني: غرابة الاستهلال، أي: غرابة البدء بحديث على هذا النحو، فينتبه السامع متعجباً منصتاً لما بعده.

تذكرُ أنني طلبت منك أن تجيء بثلاث آيات وساعدتك بواحدة هي نفسها (آلم)، كنت سأسألك هناك سؤالي: هبْ أنك طاوعتني وبدأت بـ (آلم)، وسألتك: لم ابتدأت بها؟ ما جوابك ؟ بالتأكيد لن يكون جوابك، الذي أخبرتك به وهو: الإعجاز وحسن الاستهلال والبدء.

الملاحظة: كيف يؤلفه ويأمر نفسه بأوامر ؟ سأضطر أن أضع أمثلة قليلة على هذا الأمر الشخصي وإلا هذا يحتاج إلى بحث مستقل وإن كان فيه بعض الكتابات.

" وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " آل عمران ١٧٦

الملاحظة: هل أمر نفسه بألا يحزن على الذين سارعوا في الكفر. بل كلمة الكفر هنا تحتاج إلى توضيح أكثر. كفروا بمن!.

" وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ " النساء ١٠٢

الملاحظة: تأمل في كلمة "معك" أليس الأولى لمن زعم الزعم أن يقول معي، من الذي أمر بهذه الأوامر: " فلتقم، وليأخذوا، فليكونوا، فليصلوا".

" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " الأحزاب ١- ٣ .

الملاحظة: تأمل في الأفعال "اتق، ولا تطع، واتبع، وتوكل" من الذي أمر؟ منْ المتكلم؟ هل قال المؤلفُ لنفسه هذا؟!

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ فاطر ٨.

الشاهد: من الذين زينَّ أصلا ؟ ومن الذين زُيّن لهم؟. ومن أمرَ بألا تذهب نفسه عليهم حسرات

" أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " الإسراء ٧٨

من الذي أمر بإقامة الصلاة في آية سورة الإسراء. وتأمل في أوامر الآيات التالية من سورة الأحزاب. من الذي أرسل؟ ومن الذي أمر بالتبشير، ومن أمر بعدم إطاعة الكفار والمنافقين، ومن أمر بأن يدع أذاهم ويتوكل.

" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " الأحزاب ٤٥-٤٨.

خلاصة هذا العنصر: هل المؤلف أمرَ نفسه؟ أم أنَّ آمراً أمره. أقول مهما بررتَ هذه الآيات، كيف ستبرر المواضع الأخرى؟ وهي من أول القرآن إلى آخره. خلاصة الكلام: إنَّ في القرآن متكلما ولا يمكن أن يكون هذا الكلام لمؤلف بشري.

(١٤) الأفعال في القرآن الكريم

ليت موضوع الأفعال يبحث بإسهاب في رسالة علمية، سأورد لك أمثلة من الأفعال. وسأذكر أمثلة قليلة لئلا يطول البحث، كل صفحة في القرآن الكريم ملأى بهذه الأفعال التي لا يمكن أن تصدر من بشر.

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ الرعد ٢

الاستدلال في: " رَفَعَ ، اسْتَوَى ، وَسَخَّرَ ، يجري، يُدَبِّرُ ، يُفَصِّلُ " كيف يقول مؤلف بشري أنا رفعت السماء سواء كانت العمد موجودة لا تراها، أو كانت أصلا غير موجودة. وقسْ على هذا بقية الأفعال، هذه أفعال ليست بشرية، ولا يستطيع أن يدعيها بشر.

" وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " الأنعام ٩٩ .

أنزل من السماء مطرا، وأخرج النبات والحب والشجر والعنب والزيتون والرمان، تأملْ في هذه المخلوقات حتى النباتات والزروع: كيف خُلقِت، انظر إلى تصميم حبات الرمان من الداخل، والأغشية التي تغطيها، وذقْ الطعمَ، وتساءل من أعطى الرمانة حلاوتها، ومن وضع في فيك قدر هذا المذاق، وتأملْ في هندسة حبات الرمان ومذاقها وهي أُخرِجت من تراب وماء. وتأمل تعامل جهازك الهضمي في تنسيق مع الأجهزة الأخرى مع حبات الرمان وغيرها.

" وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ " يونس ١٣ .

" فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" العنكبوت ٤٠ .

" أهلكنا " هل يقول بشر أنا أهلكت بأنواع الهلاك الذي وقع عليه الحصى والصيحة والخسف والإغراق، هل هذا يمكن أن يقوله بشر بأنهم حُصِبوا وصُرِخ بهم بصيحة وخُسِف بهم وأغرقوا.

الذي أريد أن أقوله: بأن في القرآن الكريم أفعالاً لا يمكن أن تصدر من بشر.

" وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " الأنعام ٥٩ .

هل يقول مؤلف من البشر بأنه يعلم الغيب ومفاتحه، ويعلم ما في البر والبحر، ويعلم ما تسقط ورقة من شجر ولا حبة في ظلمات الأرض، ورطباً أو يابسا. هل يمكن لبشر أن يقول هذا ؟!

هو يعطيك كل المبررات لأن تكذبه لأنه ليس في مقدور البشر فعل هذه الأفعال. هو يخبرك بهذا بيقين كامل لا ريب فيه، هل هذا يفعله مؤلف كتاب ؟!

" يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " لقمان ١٦

وهل يقول مؤلف من البشر بأنه يعلم مكانَ حبة بحجم حبة الأرز ولو كانت مخفية في صخرة، ولو كانت في السموات أو في الأرض لأتى بها. افترضْ بأنني سلمتُ معك جزافا بأنَّ المؤلفَ الذي زعمته، سيجيء بالحبة التي في الأرض، فكيف سيجيء بالحبة التي في السموات؟!.

دعني أساعدك في تبريرك، قلْ: لا أصدق، كل هذا أساطير الأولين.

والجواب: إذا لم تقع، فلمَ يذكرها لك وهو يعلمُ بأنه لن يصدقه بشر، الأولى كان أن يتجنبه ليكون كلامه أكثر قبولاً. ثم لا يتوقف صدق القرآن على تصديق أو إنكار القارئ له .

كما قلت هذا الموضوع طويل جدا، إنما انتقيتُ بعض الأفعال التي لا يمكن لبشر أن يفعلها، فكيف جاءت في القرآن، بل بعضه خارج التصور، سأعطيك مثالاً واحدًا فقط: أنت تعلم بأن المؤمنين يؤمنون بالجنة والنار، لكن هل سمعت بالأعراف؟

" وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " الأعراف ٤٦-٤٧ .

الأعراف: حاجز بين الجنة النار. وفي هذا الحاجز رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم. الغريب كيف تساوت؟ من الذي قاس؟ وهذا يقودنا إلى بحث سلوك الناس وتصرفاتهم. كيف تقيس السلوك الإنساني علمياً، نحن لسنا في قياس فقط ! بل وتقويم بالدرجات. هل يمكن أن يتصور بشر لمكان غيبي ! وأنه يمكن أصلاً أن تتساوى فيه حسنات أناس وسيئاتهم ؟. نعم يمكن تصوره عقلاً، لكن هل يمكن حدوثه ؟!.

ولعلي أذكر لك عجيباً من عجائب القرآن:

" إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي " طه ٣٨-٣٩ .

" وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " القصص ٧ .

آية سورة القصص تهيئة لما حدث في سورة طه. هناك فارق زمني بين الحادثتين، الإلقاء أسرع من الرمي. فهما حادثتان وقعتا في زمنين مختلفين، ومما يدعم هذه الرأي: الأوامر إلى اليم وما حدث عند الساحل في التقاطه، بعد أن توَّجه الصغير في النيل إلى قصر فرعون؛ ليأخذه عدو له. السؤال الذي أردتُ أن أذكره هنا: كيف علم المؤلف بأن ثمة أمر سيحدث للصغير والخلاص من المشكلة بالرمي في اليم، وحينما قرُب الخطر أُمِرت الأمُ بإلقاء الصغير في اليم، مع أنه عقلاً لو أبقتْ الصغير معها أحفظ له. والرمي في اليم هو عين الهلاك نفسه، ليس حديثي عن هذا.

السؤال كيف علم المؤلف بحاجة الأم إلى هذا الحل في المرة الأولى. ونحن لا نتكلم عن رواية ألفها مؤلف ليزيد من حبكتها.

الحديث عن قصة واقعية تاريخية حدثت مع أعظم الأنبياء والرسل. هل تعلم أن اسم موسى عليه الصلاة والسلام جاء في القرآن ١٣٦ مرة. الأعجب من كل هذا أنَّ اليمَّ أخذ الصغير إلى قصر، وصاحب القصر نفسه

يبحث عن الصغير ليقتله. فالذي أراد قتله هو نفسه الذي يرعاه وينشئه عنده ويبحث عن مرضعة لترضعه. وتصير المرضعة هي أم الصغير نفسه !.

قلت لك سابقا يا صاحبي: إنَّ الأفعال في القرآن الكريم بحاجة إلى بحث لجمالها وروعتها. انظر في هذا الفعل: " يُرِيكَهُمُ ، أَرَاكَهُمْ " من سورة الأنفال. سيجيء الحديث في عنصر لاحق عن سبعة مواضع للرؤى في القرآن الكريم هنا الموضع الخامس في سورة الأنفال، ليس حديثي عن الرؤى لئلا أكرر نفسي، إنما حديثي عن الآية ٤٤ في سورة الأنفال.

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَـكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ الأنفال ٤٣-٤٤ .

انظر هذا الصنع: تغيير إدراك ما تراه على الحقيقة بجعل الكثير قليلا والعكس.

هذه الآية في غزوة بدر معركة الإسلام الأولى: المسلمون عددهم نحو ٣١٤ صحابياً بعدة خيول في مقابل ألف رجل من صناديد قريش بأبطالها وخيولها وسيوفها.

أنت قائد معركة وحساباتك بالتأكيد حسابات عسكرية. إذا رأيت تفوق خصمك ثلاثة رجال مقابل واحد من جندك الذين هم أصلاً ليسوا متأهبين للقتال. ثم حربهم ليست كحربنا بالصواريخ والطائرات والسفن. إنما لقاء وجه لوجه، كل منهما بسلاحه. فإحاطة ثلاثة رجال بأسلحتهم برجل واحد، يجعلك تعيد حساباتك بالإقدام كقائد. فإذا أضفت أن الصحابة لم يخرجوا لقتال، ولم يعرفوا به ابتداءً، يزداد تردد القائد في لقاء العدو.

ما الذي حدث: حينما تراءوا، كل منهما رأى عدوه قليلا، رأيت عدوك الكثير قليلا، وليس هذا فقط. بل خصمك رءاك قليلا، فازدادت رغبة القتال عند الفريقين. وهل تظننا بمنجاة عن هذا التخييل. انظر إلى من زُيّن له سوء عمله " أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء " فاطر ٨

" فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " الأنعام ٤٣

ألا يدخل في هذا من استدل بالعلم الطبيعي على الإلحاد ؟!.

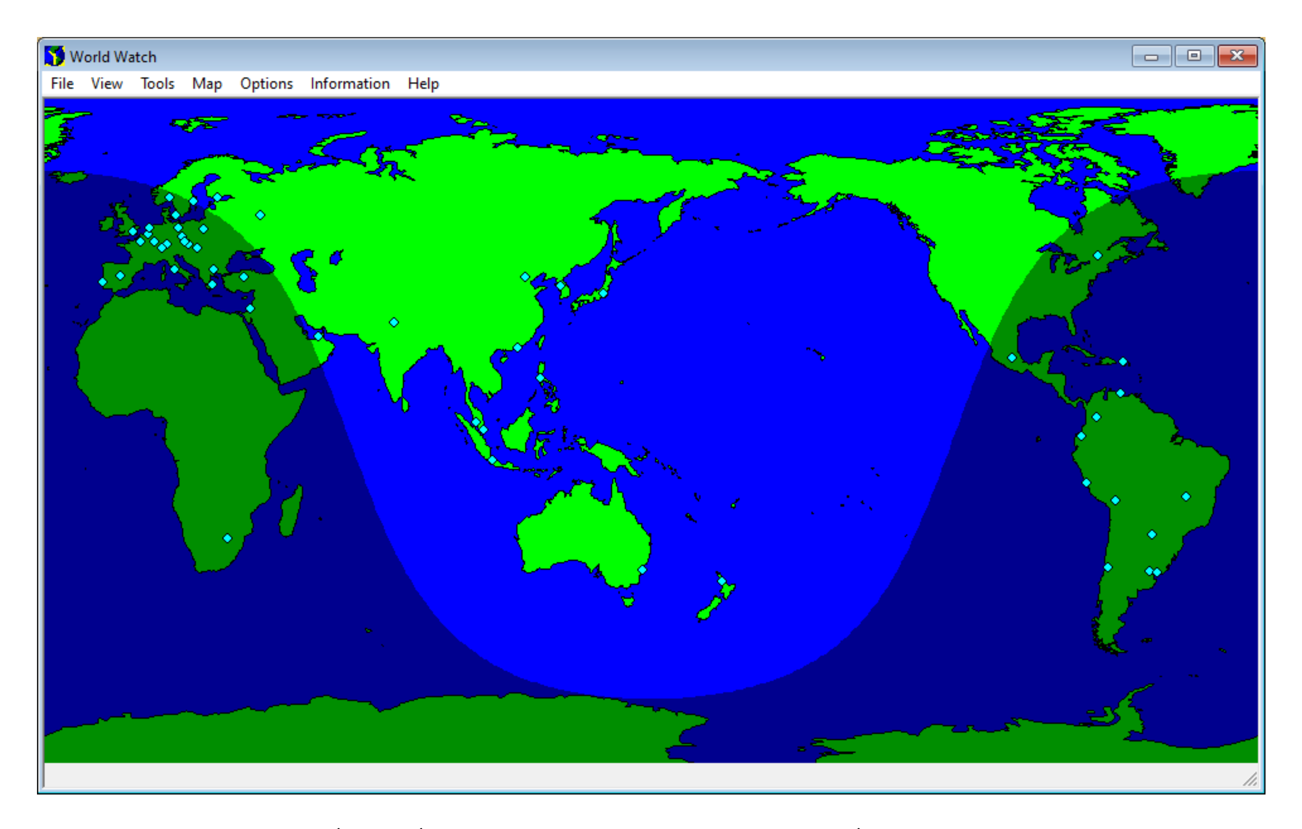
سأضيف أفعالا أخرى للتوضيح، ولتحفيز باحث أن يبحث في الأفعال في القرآن الكريم. جاء وصف تداخل الليل بالنهار والعكس بأفعال مختلفة. هو استطراد لكنه مرتبط بالبحث. لأنه لا يمكن لبشر أن يصف هذا الوصف على هذا النحو.

" تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ " آل عمران ٢٧

الكلمة	المعنى
تُولِجُ	تدخل. يدخل الليل في النهار في الشتاء؛ فيطول الليل ويقصر النهار. والعكس في الصيف. وهذا يتغير بموقع الشخص الجغرافي على الكرة الأرضية. فليس الليل والنهار متساو على الكرة الأرضية. وتدور الأرض بميلان نحو الشمس. فكلما اقتربتْ ارتفعت درجة الحرارة. وإذا ابتعدت انخفضت درجة الحرارة وهي البرد. فمن خصائص السماء أنها تدور وترجع والله أعلم هذا هو المعنى الأصوب في قوله تعالى " والسماء ذات الرجع " وهو دوران السماء ورجوعها. فتفسير الرجع بالمطر؛ يحتاج إلى مراجعة لأن الرجعَ صار وصفا للمطر وليس للسماء. ذكر البغوي رحمه الله معنىً آخر إلى المطر وهو ظلمة الليل والنهار. وظلمة الليل والنهار هو دوران الأرض والشمس والقمر. فليس كلامي محدثا أو مخترعا أو بدعا من القول. فالفعل " تولج " تستصحب هذه المعاني وأكثر. فالأمر ليس أخذ الليل من النهار، والنهار من الليل من بعضهما نقصانا وزيادة. إنما ينبئُ عن نظام فلكي دقيق. بقي بحث هنا: وهو أصل تقسيم اليوم إلى ٢٤ ساعة. هل هو فعلا من اختراع المصريين القدماء ؟. في حديث الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ... ثم أمر عليه الصلاة والسلام : اقدروا له قدره. هل عندنا بحث لو كان اليوم سنة وشهرا وأسبوعا كيف يكون تقدير دخول وقت الصلاة على الساعة الميكانيكية المعاصرة ؟. وهل طول اليوم كالسنة تغير في الزمن النفسي أم في الزمن الفلكي. إذا صار اليوم سنة. فيصير اليوم ٣٦٠ ساعة باعتبار كل ساعة يوما. أو ٨٦٤٠ ساعة باعتبار ٢٤ ساعة في ٣٦٠ يوما = مجموع الساعات ٨٦٤٠ تقسيم ٣٦٠ قطر الدائرة على ٢٤ ساعة لا يصلح تقديرا؛ لأنه تقدير افتراضي وليس تقديرا فلكيا واقعيا. فليس كل ساعة ١٥ درجة لاختلاف مدار الأرض وقطره. موضوعنا: أنَّى لرجل في مكة الذي اعتمد زمنه بروج السماء ونجومها دليلا في ترحالهم أن يتصور أفعال حركة الليل في النهار المختلفة !.

هل أُخترِعتْ ساعة يدوية مرتبطة بفعلِ الليل في النهار والعكس على الحقيقة مرتبطة بالأقمار الصناعية التي تتابع الليل والنهار؟ كالصورة أدناه. ربما ستكون ساعة اليد للعصور القادمة ! . في الصورة استراليا وما جاورها، وشرق آسيا وبعض الصين وروسيا في الليل. وبقية روسيا والقارة الهندية إلى آخر كاليفورنيا وقاع جنوب أمريكا الجنوبية تحت ضوء الشمس. راعِ التدرج من الإشراق إلى الأصيل.





الليل: اللون الأزرق الداكن. النهار والشمس على اللون الأزرق الأفتح

" إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " الأنعام ٩٥

الكلمة	المعنى
فَالِقُ	فلق: شق الشي وأبانه عن بعضه (مفردات الراغب) الفَلَق: المطمئن من الأرض بين ربوتين. الفَلْق بسكون الوسط: شق الشيئ وفصله إلى شقين (مجمع اللغة) هذا الفلق هو شق الحياة وخروجها من بذرة وحب ونوى ومن نطفة وشق الصبح عن الليل. هل تأملت شق البذرة. من أودع فيها الحياة. إذا كان الأمر عناصر كيمائية مجتمعة، فاجمع عناصرك الكيمائية وكن دقيقا في وزن الكميات. ثم شقْ الحياة فيما جمعته من كيمائيات. هل ستخرج كيمائياتك حبة عدس أو حبة قمح أو زهرة أو ثمرة ؟!. فالفلق ليس هو الصبح. إنما الصبح نتيجة للفلق. والفرق بينهما كبير. هو فرق بين السبب والنتيجة. ولذا لا تجدنا نقول فلق الليل. إنما الليل سكون. وعلاقة الشمس بالقمر علاقة حسابية لا هذا يسبق هذا ولا يتقدم عنه ولا يتأخر. وحتى لو تغير نظام حركتها بالخسوف والكسوف لا زال النظام الشمسي منتظما على نظامه. هذا الحساب والصنع من حسَبهُ ومن صنَعهُ ؟. لكن ليس هذا بحثنا. بحثنا أنى تسنى لذلك الرجل في مكة أن يفلق الحبة والنوى وأن يشقَ الصبح عن الليل. وأنَّى له أن يعرف أن نشاط خلية الجسم في الشمس والنهار غير حركتها وسكونها في الليل. فما حدث في سكون الليل، حدث سكون في جسم الكائن الحي أيضا.

" اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ " الرعد ٢

الكلمة	المعنى
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا	يشمل المعنى أمرين. ١- أن للسماء أعمدة لكننا لا نراها ٢- أو أن ليس للسماء أعمدة أصلا؛ ولذا لا نراها هل يمكن لمؤلف بشري أن يجيء بهذا المعنى. حتى علمنا المعاصر الفلكي والكوني ليس عنده هذه التسمية بالأعمدة لسقف السماء وما فوقها

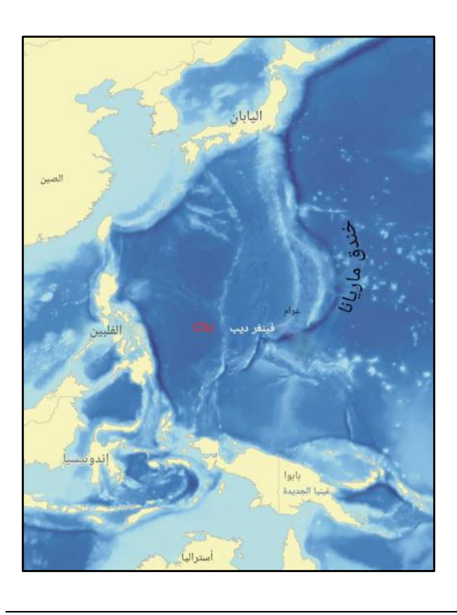
" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً " الإسراء ١٢

كلمة " فمحونا " هل يمكن أن يصف بشر محو القمر عن الليل ومحو الشمس عن النهار. هل يمكن لمؤلف بشري أنْ يمحيَ أحدهما ؟!. ولهذا أكرر ليت ثمة بحث عن الأفعال في القرآن الكريم ومقارنتها بأفعال البشر.

" وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ" الأنبياء ٣١

الكلمة	المعنى
رَوَاسِيَ	وظيفة الجبال تثبيت للأرض. وجاء في سورة النبأ بأن الجبال أوتادا. والوتد يغوص في الأرض للتثبيت. هذه معان لا يمكن أن يتصورها مؤلف بشري غير متخصص في علوم الجبال. ثمة أبحاث واكتشافات عن خندق ماريانا الذي هو أخفض نقطة في قاع البحر. عمقها ١١ كم تقريبا عن سطح البحر. ويقابل الخندق على سطح الأرض مرتفعات في الجهة الأخرى من الكرة الأرضية. وجدوا هذه العلاقة بين الخندق والمرتفعات. سؤال: هل الجبال خاصة بالأرض دون سائر كواكب المجموعة الشمسية لحاجة الأرض إلى اتزانها بالجبال ؟. لكننا نفهم من القرآن الكريم بأن الجبال ثوابت للأرض لئلا تتمايل وتضطرب وتفقد اتزانها. هل كان لبشر أن يعرف بأن الجبال تحفظ الأرض عن الميل والاهتزاز !.

خندق ماريانا أعمق نقطة على سطح الكرة الأرضية وتقع في غرب المحيط الهادي إلى الشرق من جزر ماريانا الشمالية. يبلغ طول الخندق حوالي ٢٥٥٠ كيلومتر ويبلغ عرضه ٧٠ كيلومترا وهو هلالي الشكل. يصل عمق أبعد نقطة في خندق ماريانا حوالي ١١,٠٣ كيلومتر تحت سطح البحر وهي (تشالنجر). إذا كانت قمة جبل إفرست (أعلى جبل على الأرض بارتفاع يَبلغ ٨,٨٤٨ متراً) إذا وُضعت في أعمق نقطة في خندق ماريانا، فسيَظل هناك ٢,٠٧٦ متراً من الماء فوقها.



المصدر: ويكيبيديا

" وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ " الأنبياء: ٣٢

الكلمة	المعنى
سَقْفًا مَّحْفُوظًا	السماء سقف للأرض. ومن الحفظ وجود الغلاف الجوي الذي يحفظ الأرض من الأشعة هذا في محيط الكرة الأرضية فالاسم المفعول بمعنى حافظ. وإذا تجاوزنا الغلاف الجوي فالسماء أيضا محفوظة لا تسقط ولا تتلف ولا تتداخل ولا تفقد وظائفها. السؤال: كيف يقول مؤلف بشري بأن السماء حافظة ومحفوظة ؟!.

نظرا للاختصار لن أتوقف عند جميع الأمثلة. لكنني أرجو بأنني وضحت اختلاف بعض الأفعال في القرآن الكريم عن أفعال البشر.

" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " الأنبياء ٣٢ – ٣٣

" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " القصص ٧١-٧٢

" وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " يس ٣٧ – ٤٠

الكلمة	المعنى
نَسْلَخُ	ننزع (الميسر). " (١) ننزعه ونفصله (٢) سلخ الشهرُ وانسلخَ: مضى وانقضى " فإذا انسلخ الأشهر الحرم " (معجم اللغة). هل يقول قائل بشري أنه يسلخ الليل من النهار ؟ هذا النزع والفصل نتيجة لدوران الأرض والشمس والقمر.
وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ	" والقمر آية في خلقه، قدَّرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالا ضئيلا حتى يكمل قمرا مستديرا، ثم يرجع ضئيلا مثل عِذْق النخلة المتقوس في الرقة والانحناء والصفرة، لقدمه ويُبْسه ". (التفسير الميسر). انتهى الذي خلقَ القمرَ، خلقَ العذقَ. فجمعهما في صورة واحدة.

" خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ" الزمر ٥

تكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل ظاهرة فلكية. هل المعنى كافٍ بأن نصف التكوير بدخول أحدهما وخروج الآخر؛ لأنه توصيف للمعنى بعد وقوع التكوير. فليس الحديث عن وظيفة وفائدة التكوير. إنما ما هو تكوير الليل على النهار. ما هي الظاهرة الفلكية للتكوير؟ أظنه بحاجة إلى إضافات أخرى وقد أكون مخطئا. ثم الملاحظ أن توضيح هذه المعاني يحتاج إلى نظر آخر وهو مراعاة مواقع الأرض ووقوع الليل والنهار عليها. فليس ليس ليل الشمال القطبي كليل خط الاستواء.

ولعله من المناسب أن أذكر أمرا هنا: وهو بعض المظاهر الفلكية التي جاءت في القرآن الكريم تحتاج إلى لقاء المتخصصين في علوم الكون والفلك والفيزياء وعلم الأعضاء والأعصاب وغيرها مع علماء التفسير وغيرهم من المتخصصين لربما كان عندهم إضافة مهمة على كلام بعض المفسرين على الظواهر الفلكية.

" وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا " الشمس ١ – ٦.

وهذا توضيح جيد لما اقترحته من اجتماع الفلكيين بالمفسرين. هذه ظواهر فلكية وصفها ربنا وصفا قد لا يكون ما يتبادر إلى ذهننا من أول وهلة. ما علاقة ضحى الشمس بأن يتلوه القمر. والنهار جلى ماذا ؟ هل النهار جلى القمر. وهل الليل يغشي الشمس أو يغشي النهار. ولو تلاحظ أن جميع الآيات التي جاءت في غشْي الليل للنهار. جاء أولا ذكر غشى الليل على النهار. هل هذا الترتيب مؤثر في المعنى. الله أعلم.

مثال لقوله تعالى " فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ " البقرة ٢٦٦





قد تدخل النار على الإعصار أو يمر الإعصار على النار	ثم يتداخلان	ثم يرتفع الإعصار الناري ويزداد. كيف سنطفئ هذا الإعصار الناري ؟

هذا نموذج آخر لنظر المفسرين والفلكيين في قوله تعالى " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ " الرعد ٤١

" نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا " جاء في التفسير الميسر "وذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين " صار المعنى أطرافها هنا هو حدود البلدان.

جاء في التفسير الميسر عند سورة الأنبياء الآية ٤٤ " بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ " " فالله ينقص الأرض من جوانبها بما ينزله بالمشركين من بأس في كل ناحية زمن هزيمة ". وبعض العلماء يرى النقص بمعنى الموت.

هل هذا هو المقصود بنقص الأرض من أطرافها ؟ هذا وصف للأرض لا وصف للجيوش ولا للحدود فقط. لعل أحد طلاب الدراسات العالية يعقد مقارنة بين كلام المفسرين على الظواهر الفلكية في القديم والحديث. لأن بعض توصيف المفسرين رحمهم الله يناسب تلك المرحلة العلمية الفلكية. بينما زمننا هذا زمن الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية. فلربما بوجود التقنية المعاصرة، تضيف معانٍ جديدة دون مصادرة وإلغاء كلام المفسرين المكرمين.

" وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى " الليل: ١ – ٢ " وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى " الضحى: ٢

ما العلاقة بين " يغشى" و " سجى " كلاهما من أفعال الليل ؟. والليل يختلف من مكان إلى مكان فيطول ويقصر، وقد يستغرقُ اليوم والليلة، وقد يكون النهار دقائق فقط. ويختلف الليل في بداية الشهر عن وسطه حينما يكون القمر بدرا كاملا، ويختلف الليل قبل الفجر. فهذه الأفعال التي جاءت في وصف الليل والنهار ليست بمعنىً واحد. فإذا كان كذلك وهو كذلك: أنّى لنبينا الكريم عليه الصلاة والسلام أن يحيط بهذه المعاني ويصف ما يحدث لليل والنهار. بل أقول ولن أكون مجازفا: بأن القرآن الكريم سيضيف معانٍ جديدة للفلكيين أنفسهم. والقرآن الكريم ليس كتابا فلكيا، لكنه يخبرنا عنه لنتيقن يقينا لا يدخله ذرة ريب بأنَّ القرآن الكريم كلام ربنا عز وجل.

ولو عقدت مقارنة بين ذكر الليل والنهار من سورة البقرة إلى الناس. لوجدت في سور العهد المكي الدعوة إلى قيام الليل كما في سورة المزمل وهي مكية. " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا " ١-٦ . وفي سورة الذاريات وهي مكية " كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " ١٧-١٨
وهذا درس مهم للدعاة من علاقة الليل بالنهار. فعند الشدائد والمصاعب في الدعوة مع المدعوين، لقيام الليل تأثير على الثبات والصبر وحسن الخلق وما يعين على الدعوة.

نرجع إلى موضوعنا فهل القرآن الكريم تأليف بشري. وأكررُ قبل المضي بأنَّ الأفعال في القرآن الكريم بحاجة إلى بحوث ودراسات لمزيد معرفة بربنا جل وعلا فهو غاية الغايات. ومنه نبتدئ وعنده إن شاء الله ننتهي، وما بينهما كله له. قال ربنا جل وعلا " وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا " الإسراء ٨٠. وجاء في وصف منافقي اليهود. وهذا الوصف من عجائب القرآن الذي لا ينقض عجبه " وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ " المائدة ٦١. خرجوا بما دخلوا به من كفر. وصف عجيب وأيما عجب !.

انظر في سورة الفلق عند الآية الأولى " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " الفلق ١
الفلق بمعنى الصبح. الفلق ليس الصبح. الصبح نتيجة للفلق وشق الليل عن النهار. فالصبح قول باللازم من الفلق. أي بعد حدوث الفلق يظهر الصبح كنتيجة له. عملية الشق تحتاج إلى التفاتة أيضا وليس فقط ما انبثق عنها. هذا الوصف يحتاج إلى تأمل لأن الحديث عن الليل والنهار يدخلنا في موضوع الأرض والأفلاك والنجوم. حتى نصل إلى خلق السموات والأرض اللتين كانت رتقا.

" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ " الأنبياء ٣٠ معنى رتقا: أي مضموما وملتئما. أي أن الأرض والسموات كانتا مضمومتان ملتئمتان. كيف هذا الرجل في مكة وبين جبالها وليس عنده مرصد فلكي وصف هذا الرتق. مع أنه إلى يومنا هذا، الفلكيون والفيزيائيون لا يعرفون كيف نشأ الكون إلا بافتراضهم الذي ظنوه يقينا الانفجار الكوني في الكون. والانفجار القردي في الإنسان. ولن يعلموا السبب لأنهم لم يحضروا ويشاهدوا فتق الرتق. تأمل في آية سورة الكهف التالية" مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا " الكهف ٥١. الحاجة إلى القرآن حاجة ماسة ملحة وهو أهم حاجة للبشرية اليوم.

أكرر السؤال: كيف هذا الرجل في مكة وبين جبالها في ذلك الوقت من الكشف العلمي أن يصف هذا الوصف الدقيق بكل ثقة أن الخلق جرى على هذا النحو. سيجيء مزيد توضيح لعنصر الظواهر العلمية الطبيعية في الإنسان والكون.

مثال آخر لتأكيد فكرة اجتماع العلماء

سأعقد مقارنة مختصرة بين التفسير الميسر والمختصر عند تأويل معنى الشهب باعتبارها ظاهرة فلكية. بعض وظيفة الشهب حراسة السماء عن استراق الجن للسمع.

" يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ " الرحمن ٣٣-٣٥

" وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا " الجن ٨-١٠

الآية	التفسير الميسر	المختصر
" يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ " الرحمن	" يُرْسَل عليكم لهب من نار ، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم "	" يُرْسَل عليكما – أيها الإنس والجن – لهب من النار خالٍ من الدخان ، ودخان لا لهب فيه "
" فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا " الجن	" وبالشهب المحرقة التي يرمى بها من يقترب منها "	" فمن يستمع منا الآن يجد نارا مشتعلة معدة له "

معنى الشواظ في المجلد الرابع لمجمع اللغة العربية في الصفحة ٤٤ : بضم الشين وكسرها القطعة من اللهب ليس فيها دخان.

الشهب في التفسير الميسر:

اختلف معنى الشهب في السورتين. ففي سورة الرحمن، فهو لهب من نار ونحاس مذاب. فالوصف هنا لِما تتركب منه الشهب. فهو مصنوع من معدن النحاس. وعند احتراقه لا يصدر منه دخانا. لكن هل الآية تضمنت معنىً بأن يكون النحاس سائلا مذابا مصبوبا. وإذا كان مصبوبا فكيف يرسل !. وفي سورة الجن هي شهاب رصدا دون ذكر مما يتكون منه الشهاب.

الشهب في المختصر:

الشهب في سورة الرحمن: لهب من النار خالٍ من الدخان، ودخان لا لهب فيه. حقيقةً، صَعُبَ عليَّ الفهم؛ والسبب رأيتُ المعنى متناقضا !. نار بلا دخان ، وهذا الدخان نفسه بلا لهب أو نار !. وفي سورة الجن نار مشتعلة. أليست النار دائما مشتعلة. قصدت: لم يقدم التفسير معنىً للمعنى !.

ذكر المعجم المفهرس أن الشهاب جاء في القرآن الكريم بألفاظ : " شهابٌ " " شهابا " " شهبا "

اقتراح: ألا يمكن أن يكون المعنى بأن الشهب نار من نحاس بلا دخان يرسل على الجن التي تسترق السمع. وهل هذا الوصف للشهاب مقيد بالجن التي تسترق ؟. وأنه ثمة شهبا أخرى من مادة أخرى وبصفات أخرى.

فائدة تطبيقية: أن بعض الشهب المتساقطة على الأرض من النحاس. فنستدل بالقرآن على الأشياء الطبيعية لا العكس. ومن المصادر الطبيعية للنحاس: الشهب.

لكن أعظم معنى فيما يتعلق بموضوعنا ما قالته الجن في سورة الجن " وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ". حُرِسَ القرآن الكريم حتى في السماء فضلا عن الأرض.

أمثلة أخرى لتأكيد الحاجة إلى اجتماع العلماء المتخصصين في العلوم

الفعل " وَأَلْقَى " في وصف للجبال

" وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " النحل ١٥

هل الجبالُ تُلْقَى ؟ أم أنَّ الفعل " وَأَلْقَى " يعطي فهما جديدا في تركيب الجبال في وعلى الأرض. الله أعلم
هذا يحتاج إلى متخصصين في علوم الجبال.

كلمة " بَيْن " للحليب

" وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ " النحل ٦٦

هل " بَيْنِ " تفيد فائدة تشريحية بأنها بمعنى المكان ؟. أي أنَّ مكان مسارات الحليب بين مسارات الفرث والدم

وهذا لأهل الحديث:

جاء في الحديث المتفق عليه وصف فسيولوجي للديك والحمار. هذا الوصف ضرب من الغيب مقارنةً بتركيبنا الفسيولوجي البشري. جاء في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق عند باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانا " .

السؤال: هل هذه الرؤية للمَلك وللشيطان لتركيب فسيولوجي في عيني الديك والحمار. سألتُ جراحا استشاريا في العيون وأخبرني بأن إحدى عيني الديك تختلف عن الأخرى تشريحيا. هذا يحتاج مزيد بحث عند علماء البصر وإطباء العيون والمحدثين.

القرآن والسنة وحي ممن خلق السموات والأرض وما بينهما. وعليه، هل في سنن الفطرة فرق فسيولوجي بين الاستحداد والنتف ؟ . وهل ثمة فرق في غسل المرأة لشعرها جنبا وحائضا ؟. ومثل هذا كثير في الاستدلال بالقرآن والسنة على صدق الوحي. فأنى لرجل في مكة عليه الصلاة والسلام أن يعرف كل هذا !.
هل لا زلت يا صاحبي على دعوى أساطير الأولين ؟!. ليتك رأيتَ أساطير وخرافات البشر المعاصرين.

النظر العلمي إلى الكون غير النظر الأدبي الجمالي. وسواء نظرت بهذا أو بهذا أو بهما معا، يرتد بصرك عاجزا أن يجد خللا فيه. وإنه لمن المؤسف ألا يثير القرآن الكريم هذه المعاني ليرسخ الإيمان، وعلى النقيض من ذلك عند البعض، يكون سببا للانحراف والإلحاد.

(١٥) قياس الأفعال المعنوية بميزان الآخرة

كلنا نقوم بقياس تصرفاتنا وأفعالنا. ونضع لها تقويما بالصواب والخطأ، والإيجاب والسلب، والشعور بالفخر والخيبة، يُمدح سلوك، ويُذم آخر، ويكفي أن ترى أخبار أي دولة في التلفاز، لترى مقدار حجم المدح والذم. وانظر في عبارات الإعلانات التسويقية والصحف والمجلات، فهي ملأى بالمدح والذم. فنحن بشر من طبيعتنا أن نرفعَ ونخفضَ تصرفا ما.

هل عندنا ترمومتر للغضب؟ للتعاون؟ للمحبة؟ للحرية؟ للعدالة؟ للكرم؟ للتواضع؟ هل يمكننا قياس هذه الأمور المعنوية؟ هل يمكن قياس المقاصد والنيات ؟. هبْ أننا وجدنا ذلك الترمومتر، هل يمكن قياس الكرم عند شخص؟ وهب أيضا أننا وجدناه، وكانت درجته في مقياس الكرم سبعة درجات، وشخص آخر درجته سبعة أيضا. فهل هما مع نفس الدرجة متساويان ؟.

ما الفرق بين ٦ و ٧ و ٨؟ نحتاج أن نعرف ما معنى ٦ أو ٨ في صفة الكرم نفسها، ألخصُ لك مشكلة القياس:

- صعوبة القياس لصفة معنوية كالكرم والمحبة والتعاون والنفاق.
- صعوبة توصيف تصرفاتٍ بإدراجها تحت صفات أخرى.
- تداخل صفات البشر، ولا يمكن القطع بأن الصفة تنتهي عند بداية صفة أخرى.
- درجات القياس للصفات البشرية لا تعبر عن فرق حقيقي بين الدرجات.
- يتأثر تحليل النتائج بتصورات ومفاهيم الباحث نفسه. لو كان الباحث ملحدا، كيف سيفسرُ ظاهرة دينية
- الاختلاف في وصف الصفة التي تقاس. ما هو التعاون؟ ما هي المحبة؟ ما هو التدين.

مقياس صفة الخوف مثلا، الذي تطبقه في دولة عربية، تحتاج إلى تعديله ليوافق الخوف في دولة أوروبية أو أفريقية، وهذا لا تفعله مع مقياس الحرارة.

في تصوري، الأخطر في موضوع قياس التصرفات التي تصدر من الإنسان: أنَّ من تقيسه هو الذي يحدد الدرجة، خذ مثالا: على قياس ميول الناس نحو منتج تسويقي أو عادة اجتماعية أو غير ذلك: لو وزعنا استبيانات على طلاب في مدرسة ثانوية لقياس الطموح مثلاً، من سيجيب هذا الاستبيان؟ أليس الطلاب؟ بلا.

فالطالب هو الذي سيقرر في المقياس أنَّ طموحه (ضعيف - وسط - عال) أو في مقياس من درجات (١-٢-٣-٤-٥). بحيث: (٥) تعبر عن الأعلى.

خطورة هذا النوع من المقياس: أنَّ من تقيسه هو الذي يحدد درجته !. موضوع مخاطر القياس أكبرُ مما ذكرت لكنني عرضت باختصار المتعلق بالبحث.

أخلصُ من هذا باختصار شديد: صعوبة قياس صفات الإنسان. فكيف إذا دخلتَ في قياس النيات والمقاصد. كيف تفرق بين أشخاص بناءً على مقاصدهم ونواياهم القلبية التي لا تراها فضلا قياسها.

يواجه الباحث مشكلة معقدة في التصرفات الظاهرة فكيف الحال مع التصرفات المخفية. الأمر أشد وأصعب، فكيف قياس صفة لشخص ظاهرية وهو يخفي نقيضها بداخله.

ما علاقة هذا بموضوعنا وهو تأليف القرآن

أصناف الناس في القرآن من حيث الإيمان ثلاثة أقسام: مؤمنون، وكافرون، ومنافقون. في داخل كل فئة درجات متفاوتة، بل الشخص نفسه يتفاوت، مثلا: قياس الخشوع في الصلاة، كيف ستقيسه ؟ لماذا هذا في الخشوع ٧ درجات، وذاك ٥ ؟ ما الفرق الجوهري بين ٥ و ٧ ؟. هبْ أن شخصاً صلى مرائياً لمدير الشركة الذي حضرَ الحفل الليلة، وعادة هو لا يصلي؟ هذا كم خشوعه ؟

ربما لو أعطيته استبياناً لقياس الخشوع كانت درجته عالية، صِرتَ تقيس صفةً لشخص لا يملكها، ودرجته فيها عالية !

القرآن الكريم عجيب في قضية القياس

أولا: لماذا القياس؟

الجواب: للعدل بين الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

تأملْ معي: الجنة والنار مراتب ودرجات. إنَّ تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، يؤكد تفاوت درجاتها، وبناء عليه تفاوت ثوابها وعقابها، وهي أيضا تتفاوت بتكرارها وآثارها وضررها والدعوة إليها والمجاهرة بها وغير ذلك. السؤال: من سيقيس كل هذا؟ من سيضاعف ثواب العمل إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف.

الصلاة في الحرم المكي تعدل مائة ألف صلاة. ولك أجر من قام بعمل بسبب دعوتك له؟ من سيحصي من قام بالعمل بسبب دعوتك له؟ حتى هؤلاء المستجيبين متفاوتون في الاستجابة وليسوا على درجة واحدة ! عمل واحد قد يدخل الجنة، كلمة واحدة ترفعك درجات في الجنة، وكلمة تهوي بك جحيما، من يقيس كل هذا؟

حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما عَنِ النبي ﷺ فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ

عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً " . صحيح البخاري كتاب الرقاق - باب من همَّ بحسنة أو سيئة - رقم الحديث٦٤٩١ - طبعة بيت السنة.

معنى همَّ بالفعل: قصده واتجهت نيته إليه ولم يفعله. مجمع اللغة العربية المجلد السادس مادة (همم) .

منْ المؤلف الذي يستطيع أن يقيس عزم الناس وقصدهم؟ هذا ليس بمقدور البشر. فكيف يدعيه من زعمتَ أنه ألفَّ القرآن. بل حتى التقويم نفسه يدل على أن هناك معايير مسبقة يحاكم إليها. فمن وضعَ هذه المعايير المسبقة ؟ من صنفَّ أنَّ هذه حسنة وأنَّ هذه سيئة؟ كيف تقررُ أن هذا حسناً وذاك سيئاً.

الفلاسفة في اختلاف كبير عريض في تقرير الصواب والخطأ. ما العمل الصواب؟ هل للذته وألمه؟ هل لمخرجات فوائده وضرره؟ هل لحسنه وقبحه؟ هل للعدد، فكثرة فاعليه من الناس تصير الفعل محمودا. والقلة تجعله مذموما ؟!.

بل حتى تقرير اللذة غريب جداً. لأوضحُ لك: نحن نعتقد بأنَّ لذة الطعام متساوية عند جميع الناس فسيولوجيا، لكنهم يختلفون فيما يتذوقون. انظر كيف يتلذذ من يأكل العقارب والحيات. في الوقت الذي يشعر شخص آخر بالغثيان من مجرد التفكير في ذلك فضلا عن رؤيته.

فنحن لسنا متساوون حتى في تقدير لذة الطعام مع أننا نظن أن اللذة مسألة فسيولوجية متساوية للناس جميعا.

قد يفضِّل شخصٌ العقربَ شِواءً على الفحم أكثر منه مسلوقاً. قصدتُ: حتى بعض شعور اللذة التي قد يتلذذها شخص بلسانه، لم تكن اللذة صادرة من لسانه فسيولوجيا فقط، بل كانت لذة لعادة اجتماعية نشأ عليها.
قصدتُ: حتى الأمر الفسيولوجي يتأثر بعوامل غير فسيولوجية، فمن يعلم بكل هذا !.

بعض التفسير العلمي للصفات الإنسانية تتأثر بالجامعة التي تُدرَّس فيها نظريات السلوك. إن كنت في روسيا، فتعليلهم بتأثير البيئة أكبر لأنها دولة تعظم الجماعة وقديما الشيوعية وهي اليوم دولة رأسمالية. بل حتى إبَّانَ شيوعيتها كانت بنوكها تقرض كالمؤسسات الرأسمالية.

وإن كنت في الجانب الرأسمالي الغربي، فيعلل السلوك بالفروق الفردية والوراثة لأنه يوافق العقلية الليبرالية الفردية. حتى الداروينية البيولوجية الاجتماعية لا تخلو من سياسة، وإلا كيف بُرِّر الاستعمار المتطور في بداية القرن العشرين وسرقة ثروات الدول.

دعنا نواصل حديثنا في قياس السلوك الإنساني. يعتقد أهل السنة والجماعة بأن الميزان يوم القيامة لوزن ثلاثة أمور: (١) العمل (٢) العامل (٣) صحيفة الشخص.

لمزيد توضيح فيما يوزن، انظرْ في كتب العقائد عند أهل السنة في هذا الموضوع.

" إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا " النساء٤٠

معاني المفردات: الذرة : النملة صغيرة الحجم جداً أو حبة الغبار التي ترى إلا تحت ضوء الشمس لحجمها الصغير الخفيف جدا.

الملاحظة: أن وحدة القياس الذر، والحسنة تضاعف، من يستطيع أن يستخدم وحدة كالذر وهي شيء مادي ضئيل جدا لقياس صفة معنوية ؟!

" فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " الزلزلة:٧-٨ .

وحدة قياس الذر لقياس صفات الخير والشر المعنوية مع تفاوت البشر العريض في الصفة الواحدة وظروف الصفة، تخيل أن عندك مليون سارق سرقوا أشياء مختلفة، وكميات مختلفة، وفي ظروف مختلفة وغير ذلك، كيف ستقيس هذه الصفة بهذه الأوضاع؟ من يستطيع أن يقدر هذا.

" وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " فصلت ٢١ .

لا يقف الأمر عند قياس الصفة المعنوية، بل حتى جسمك الذي ارتكب السيئة سيقر ويشهد عليك.

" يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " النور ٢٤ .

القياس دقيق جداً. لنتائج خطيرة في الجنة أو النار. لو قرأت في السنة النبوية في فضائل الأعمال وتفاوت أجورها لأعطتك دلائل وبراهين على قياس العمل.

أكررُ السؤال: من عنده القدرة لهذا الحساب ؟ كيف بمؤلف يبتدع طريقة في قياس صفات الناس التي يصعب وصفها وقياسها وتحديدها، بل ويحسب أيضا نياتها ومقاصدها وظاهرها ونفاقها.

هبْ أنك أوقفتَ مصحفاً في الحرم المكي، ومصحفك بين ثلاثة مليون مصحف تقريباً، أنَّى لك أن تعرف من قرأه؟ وكم قرأ منه؟ لتُحصى حسناتك، بل من يستطيع أن يتتبع مصحفك الذي هو تماماً كبقية المصاحف، من يستطيع أن يميزه عن سائر المصاحف ؟. فكيف لو طلبنا منك بإحصاء عدد الورق وحبات المطر وحبات في السموات وحبات في داخل الصخر ؟!.

أخبرتنا الآيات أن التصرفات تقاس بحجم الذر! من سيحصي هذه الأعمال؟ كم حجم الذرة في المثقال؟ كم ذرة تشكلُ غراما بمفهومنا البشري؟!

مع هذا القياس الذي لا يمكنك تصوره وقياسه. يخبرك بأنه لن يظلمك أيضا. نحن في الجزء الأول الذي لم نستوعبه ولن نستوعبه في أننا كيف تقاس صفاتنا وأفعالنا البشرية. والجزء الثاني: يخبرك بأنك ستأخذ حقك وافرا ولن تظلم مثقال ذرة. " ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ " آل عمران١٨٢.

إنَّ الذي أخبرك عن القياس واثق تماما بما يفعل. يقول لك سبحانه وتعالى " لَيْسَ بِظَلاَّمٍ ".

كلمة " بِظَلاَّمٍ " أعظم في الوصف من ظالم، مرَّ عليك حديث (من همَّ بحسنة وإذا عملها وإذا لم يعملها، ومن همّ بسيئة ولم يعملها). مع هذا الأجر المضاعف، والذنب الغير مضاعف، يقول لك بأنه ليس بظلام.

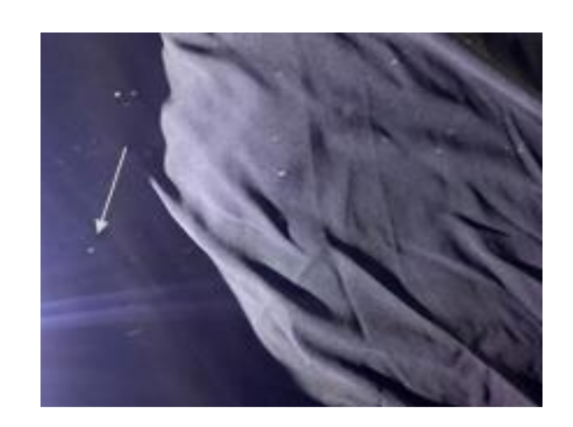
انظر أيضاً: المؤلف يؤلف كتاباً ويقول: إنَّ جلدك الذي اقترف الذنب سيتكلم ويشهد ويقر ويعترف بفعله، وأن وحدة قياس فعلك: مثقال الذر، نحن لا نتكلم هنا عن مدرج قياسي من واحد إلى خمسة أو من واحد إلى عشرة، نحن نتكلم عن وزن بمثقال الذرِ ليس له ثقل بميزاننا البشري وبأجر وافٍ ولا ظلم فيه.

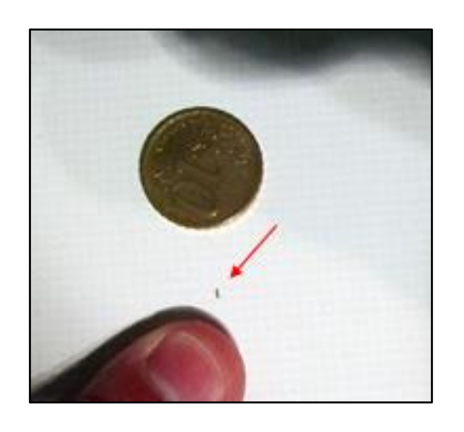
" حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " فصلت ٢٠- ٢١ .

فمن قاس، وكيف قاس وكيف وزن؟ الذر وحدة الوزن، وكيف فاوته وكيف قارنه؟ هل يقول بهذا بشر؟ كيف تساوى أصحاب الأعراف؟ وهو ليس بظلام لهم، بل الحسنة مضاعفة والسيئة واحدة لا تتضاعف؟!

فهو عليه الصلاة والسلام لا يستطيع ببشريته أن يحيط بهذه النوايا والمقاصد فضلاً على أن يكافئ أو يعاقب عليها، فضلاً أن يحدد بنفسه ما الفعل الحسن الذي يكافئه، والغير حسن الذي يعاقبه.

حتى يقيس بوحدة الذر. الذر الواحدة ليس لها ثقل يستطيع أن يقيسه البشر دون أجهزة قياس عالية التقنية. فكيف اتخذه وحدة ليقيس به ؟!.


صورة بالجوال لهباء الغبار


الصورة من النت لذر النمل

ربما لو جمعت مئة ذر من النمل لن تصل إلى غرام واحد. أما هباء الغبار، فقبل أن تتخذه وحدة قياس حاول أن تمسكه وهو يتطاير في الهواء. فكيف إذا أضفت قول ربنا جل وعلا " وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ "

تأمل الحبة والذر والخردل والأصغر وحدات القياس في هذه الآيات:

" وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ " الأنبياء ٤٧

" يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " لقمان ١٦

" وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " الأنعام ٥٩

" وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " يونس ٦١

(١٦) الإخبار بما وراء القياس والملاحظة والمشاهدة

رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ابنه

جاء الحديث عن الرؤيا المنامية في القرآن الكريم في سبعة مواضع وفق ما أحصيته: في سورة يوسف أربع رؤى: رؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام وهو صغير، ورؤيا السجينين، ورؤيا الملك. والرؤيا الخامسة في سورة الأنفال رؤيا محمد عليه الصلاة والسلام، والسادسة في سورة الصافات رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والرؤيا السابعة في سورة الفتح الآية السابعة والعشرين. الجامع المشترك لكل هذه الرؤى: أنها ذات رؤية مستقبلية تحذيرية.

نحن المسلمون نؤمن بأن مصدر الرؤيا ثلاثة هذا التصديق بخبر من السنة النبوية في حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم: (وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ..). صحيح مسلم – كتاب الرؤيا – برقم ٢٢٦٢ – طبعة بيت الأفكار

أقول إنَّ تفسير بعض الرؤى عند الطبيعيين بسبب حاضر أو ماض يمكن أن يقبل بأنه حديث الشخص نفسه، كأن يكون قلقا من أمر ما؛ فسيرى ذلك الخوف والقلق في النوم. فيرجعون سببه إلى أسباب فسيولوجية.

الأحلام من حيث الزمن هي عن شيء ماض أو حاضر، لكن الرؤية ذات المحتوى المستقبلي هي المشكلة في التبرير. المشكلة عند تبرير مصدر الرؤى ذات الصبغة المستقبلية.

لنأخذ مثالاً واحداً في الحديث عن رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وما سأذكره، وقس به الرؤى الأخرى الستة.

هل يستطيع العلم الحديث أن يعرف ما يتأثر به دماغك. هبْ أنك في معرض فني لرسام هل نستطيع أن نضع على دماغك مجسات إلكترونية لنرى تأثير ما ترى وأين تركيزك. نعم بحوث التسويق المعاصرة تفعل هذا لمعرفة حركة نظر عيني المستهلك على الرفوف.

ننتقل إلى المشاهدة: هبْ أنك عند سفح جبل مستمتعاً بما ترى من مناظر وأشجار ومياه وطيور. ولو وضعنا المجسات الإلكترونية على دماغك، هل نستطيع أن نرى الذي تراه ؟. وفق العلم الحديث لا يمكن. في أبحاث معاصرة بقياس ترددات اللون صوتا في الدماغ عن طريق مستشعر إلكتروني موصول بالدماغ. فالصوت الذي يصدر من اللون الأحمر غير التردد الذي يصدر من اللون البنفسجي الذي هو أزعجها صوتا وفق هذه التجارب.

تقيس بحوث النوم حركة رمش عين النائم، فيتوقعون بأن الشخص دخل في النوم العميق وصار يحلم. لكن بماذا يحلم ؟ ما محتوى حلمه ؟ ليس إلى معرفة ذلك سبيل.

سؤالي وهو لب الموضوع: كيف أخبرَ شخصٌ شخصاً آخرَ برؤيا رآها وهو لم يخبره بها. فضلاً على أنهما لم يلتقيا، وليس معاصرين لبعضهما !. قصدتُ: هو لم يخبر برؤيا حدثت في حينه، بل حدثت منذ مئات السنين، هذه الآيات في حوار إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: "لَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " الصافات ١٠٢-١٠٥ .

إذا كان هو مؤلف الكتاب، كيف عرفَ هذه الرؤيا ؟ وكيف وصفها بهذا الاختصار؟ دار الحديث بين الأب وولده، ولم يكن المؤلف معهما ليسمع حديثهما؟ هذه تساؤلات لا جواب لها. إما أن المؤلف الذي زعمته يتوهم أوهاما، أو أنه كاذب. وحاشاه أن يكون كذلك. والتعليل بالمرض والكذب لا يسعفنا لأن نفسر به الرؤى الأخرى التي أخبر عنها أيضاً.

هذه بداية المشكلة، المشكلة الحقيقية حينما يقول: " فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " الصافات ١٠٣ – ١٠٥

صدقتَ الرؤيا ! كيف صدقت الرؤيا ؟! قصدتُ: أن الرؤيا خُلقِت في نوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فمن خلقها ؟ كيف استطاع أن يخلق رؤيا ؟ كيف فعل هذا ؟ أنت لا تستطيع أن ترى ما يراه نائم آخر. أنت لا تعلم ماذا سترى في نومك، أنت لا تستطيع أن تخلق رؤياك. فكيف خلقتَ رؤيا في شخص آخر؟ بل كيف علمت بها لتصدقه ؟!

أأنت خلقتها في نومه لتختبره في تصديق رؤياه أنْ يفعلَ ما رأى؟ أنت لم تكن حاضراً أصلاً زمن الرؤيا. أتصدقُ بأن المؤلف وصلت به القدرة أن يخلق رؤيا وهو غير موجود أصلاً ؟!. وهل لو كان موجوداً، استطاع أن يفعل؟! وهل أنت خلقتَ رؤيا في إنسان ليذبح ولده؟

سأساعدكَ بجواب سهل: قلْ كل هذا أساطير الأولين.

ليست القضية أن تجيب فقط؛ لأن هذا سهل، لا تبررْ تبريراً هو بحاجة إلى تبرير! هل تفهمني؟ ينبغي الاتساق واستمرار التعليل العقلي الصحيح في كل جانب من جوانب العناصر.

ليس هدف البحث التلفيق. فالتلفيق والجحود يستطيعه كل أحد.

هل التبرير بأساطير الأولين يصدق على الرؤى الخمس أيضاً ؟!.

قد تبرر بأنه أساطير لا تثبتها الوقائع؟! كيف لا تثبتها الوقائع؟! إذن لماذا أخبر المؤلف بأخبار لا تثبتها الوقائع؟! لماذا فعل هذا؟ كيف طلبَ منا أن نصدقه ونؤمن بما يقول وهو يعلم بأننا لن نصدقه !. كان عليه أن يخبرنا بما تمنطقه عقولنا لنؤمن به، لكنه لم يفعل.

هذا المنطقُ يا صاحبي، مُنطِقَ به: عبادة الحجر والشجر والقبر! بل بالمنطق نفسه زعموا بأنَّ للرب ولداً وضحى به ؟! فأية منطق تتكلم عنه ؟! هذا المنطق، جعل للإنسان قداسة، وجعل الكون منفجراً، جعل من نفسه بالمنطق قرداً، منطقُ منْ نتمنطقُ إليه ؟ في كل زمان منطق !.

رأى يوسف عليه الصلاة والسلام الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدين. تأملْ في رؤيا الملك والتي بها أنقذ شعبه بالخطة الاقتصادية التي انبثقت من رؤياه.

كل هذا كيف أخبر عنه المتهم بالتأليف؟ لم تجيء قصص القرآن لتسلية الأطفال، بل لتذكر أمراً حقيقيا وتترتب عليه أموراً حقيقية.

السؤال: كيف رأى رؤاهم وما ترتب عليها ؟.

الإخبار عن الجن

أخبرت الأديان السماوية– وهي في اعتقادنا دين واحد في عبادة الله وحده وإنما الاختلاف في الشرائع –

أقول: جاءت بالإيمان بالغيب وهو ما استتر عن الحواس وما يغيب عنهم. من ذلك الإيمان بالله والملائكة والجنة والنار. ومن الغيب بالنسبة لنا مما لا يراه البشر الإيمان بالجن. والشيطان من الجن. فيما يتعلق

بموضوعنا جاء في القرآن الكريم بأخبار عن الجن. مثلا مادة خلقهم وأنهم يتنصتون في السماء وهم يعيشون على الأرض وهم مكلفون باتباع الأنبياء والرسل ويجري عليهم الحساب في الآخرة بالجنة والنار. وأنهم يروننا ولا نراهم. تأملْ في هذه الآيات ببعض أخبار الجن. نقلَ لنا حديثهم وبما أخبروا به قومهم وأخبرَ عن بمعرفتهم بموسى عليه الصلاة والسلام.

" وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ " الأحقاف ٢٩ - ٣٢ .

" قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا " الجن ١ – ٥ .

" وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا " الجن ١٩ – ٢٢

فالقرآن أخبر عن الجن وخلقهم وأفعالهم. وهم مطالبون بالإيمان والإسلام، وهم مكلفون بالعبادة والطاعة ومنهم المؤمنين ومنهم الكافرين كالبشر تماما. الجن خلق لا يُرى. فكيف أمكن التعامل معهم ومخاطبتهم ودعوتهم إلى الإيمان. ألا تلاحظ بأن هذا يقدم لك أسبابا لترفض دعوته، ومع هذا يقدمه لك. هذا لا يفعله مؤلف بشري.
نحن لسنا بصدد قصص الأطفال عن الجن والخرافات، ولسنا بصدد قصص الخيال العلمي، ولسنا بصدد الحديث عن الأفلام السينمائية. الكلام عن إيمان وكفر، وعن جنة ونار لخلقٍ لا يراه البشر.

" يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ " الأعراف ٢٧
وجاءت الأحاديث النبوية بالبسملة وهو قولك " بسم الله " أو " بسم الله الرحمن الرحيم " عند دخول الخلاء وخلع الملابس وعند الأكل ودخول البيت وغير ذلك. فهو لم يخبر بغيب الجن، وإنما أخبرك أيضا ما تفعله مع الجن.

(١٧) خطاب القرآن للصحابة والصحابيات المباشر رضي الله عنهم ولكل البشر

عايش الصحابة رضي عنهم والصحابيات تنزل القرآن الكريم. فهل كانوا لا يستطيعون أن يميزوا بأن ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام هذيانا وتخريفا ؟!. رأوا حال النبي عليه الصلاة والسلام عند نزول الوحي.

خاطب القرآن الرجال والنساء والكبار والصغار، وخاطب أهل الديانات الأخرى من اليهود والنصارى والمشركين وعباد الأصنام وخاطب الجن. وهذا لا يمكن أن يفعله مؤلف بشري.

أن يكتب كتابا لكل الناس على اختلاف أحوالهم وظروفهم ومعاشهم في السلم والحرب. لم يكن القرآن بعيدا عن حياتهم بل دخل صغير حياتهم وكبيرها. ويعرف أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فيمن نزلت الآية وأين نزلت في الليل والنهار وفي مكة والمدينة. هذا تجده موضحا بالتفصيل في علوم القرآن الكريم. وهنا أمثلة لهذه الأخبار والأمور التي عاشها الصحابة وتنزل عليهم القرآن بها

" وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " التوبة ١١٨ .

" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " الأحزاب ٢٣ .

" وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا " الأحزاب ٢٦ – ٢٧ .

" يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ..." الأحزاب ٣٢-٣٤

(١٨) المذهب الحسي التجريبي هل هو فعلا حسيا

جدلُ الحسي بأنه لا يؤمن إلا بما يراه، حجته هذه نفسها هي مفهوم عقلي، استخدام التبرير الحسي ليس في صالحه، ولا يخدمه ولا يبرر معتقده.

سأوضح بمثال في عدم معقولية الفصل بين الحس والعقل عمليا: في صباح الغد سيركب سيارته متوجهاً إلى جامعته أو إلى عمله بيقين كامل بأن مبنى الجامعة أو مبنى العمل موجود في مكانه المعتاد، وهو لا يرَ المبنى الآن، إذا ذهب إلى الجامعة وهو ليس متيقن بأن الجامعة في مكانها لأنه لا يراها، فكيف ذهب إليها إذن ؟! فإما إنه فاقد للذاكرة لا يعلم إلى أين ذاهب؛ لأنه ليس واثقا من وجود جامعته، وإما هو فاقد لحسن التصرف، ففي كل يوم سيسلك طرقاً كثيرة ضائعاً غير مهتد، حتى يجد عمله، يدور في الشوارع حتى يجد مبنى جامعته، وهل إذا رأى جامعته سيعرفها ؟

فالذي تراه أو تحسه له معان في ذهنك. فأنت ترى وتفهم وتدرك ما ترى حتى الذي تسمعه وتشمه وتلمسه وتتذوقه له معانٍ في ذهنك. قصدتُ: أن مبنى الجامعة ليس حسا يراه إنما هو إدراك لما بعد الحس. بل حتى

رؤية جدران المبنى وأنه مصنوع من الاسمنت، حتى ألوان المبنى لها معانٍ في ذهنه إذا لم يكن مصابا بعمى الألوان. قصدتُ: أننا لا ننفك عن عقلنة الحس. إنما الفصل بينهما للدراسة فقط.

فلكي ندخل ونذهب إلى أية مبنى، نحتاج إلى عمليات عقلية متنوعة كالذاكرة والإدراك والمحيط البشري الاجتماعي الذي علمنا كل ما نحتاجه لنفهم ما حولنا بل ونعطيه قيمة إيجابا وسلبا. وإذا كان المرء حساً فقط بلا فهم لهذا الحس، فقط عينان ترى، ولا تعِ ما حولها. فهذا لا يوجد من الناحية العملية.

فلو تصورنا أنه عينان فقط بلا تفسير للعين لما ترى؛ لصار المبنى الذي دخله بالأمس، ليس في ذهنه اليوم البتة.

وحينما دخل اليوم مبنى الجامعة، فلن يعرف إلى أية قسم سيذهب إليه، ولن يصل إلى مكتبه، ولا أية قاعة دراسية سيذهب إليها؛ لأن كل ما حوله ليس له معنى. تخيَّلْ أن شخصا يعيش ولا يعلق في ذاكرته معلومة !. حتى أسماء الأشياء ليست في ذاكرته، كيف سيتكلم اللغة وحروفها وهي ليست محفوظة في ذاكرته. وهذا الذي يحفظ في الذاكرة، مرتبط بمعان، فليست الذاكرة بلا معنى أيضاً.

افترضُ بأن صاحبنا، سيتصل بصاحبه بالجوال سائلا: هل مبنى الجامعة موجود اليوم ؟ وقبل أن يهاتف صاحبه، كيف عرف بأنه صاحبه أولا ؟! فمعرفته بصاحبه مفهوم عقلي وليس حسي فقط. أصحابك الذين تراهم، كيف أدركتهم بأنهم أصحابك ؟! كيف ميزتهم ؟ فالصحبة مفهوم عقلي، كيف عرفت الجوال أصلاً ؟ الأرقام المحفوظة فيه لمن ؟!

قول المرء: أنا لا أؤمن إلا بالحس، قوله هذا: كأنه يمكنه الفصل بين الحس والعقل؟! يراهما كأنهما شيئين منفصلين، لا بأس أن تفصلهما لأجل التعليم والتوضيح. لكن في الحياة البشرية لا ينفصلان، لا يمكن نزع العقل عن الحس، ولا يمكن نزع الحس عن العقل، أنت ترى أشياء تفهمها؛ وإلا كنت مجرد آلة تصوير، فالفصل بين الحسي والعقلي، يحتاج إلى مراجعتك.

فعلى هذا، هل التبرير بالمفهوم الحسي يبرر أن ترفض مالا تراه الآن؟ المفهوم الحسي هو مفهوم عقلي بكل تأكيد. فعبارتك لرفض الغيب " لا أؤمن إلا بالحس"، تبريرٌ ينقلب عليك، أنت مؤمن بالحس وبالجامعة التي لا تراها، أنت واثق بأنها موجودة، غياب الجامعة مفهوم عقلي وليس حسي، أنت لا تر الجامعة، لكنك ذاهب إليها وواثق بوجودها، أدمغتنا مفطورة على صنع المفاهيم العقلية.

بالتأكيد الحواس مصدر من مصادر المعلومات للعقل، فعدم رؤيتك لما يغيب عن حواسك، لا يعني عدم وجوده. بالتأكيد لا يبرر هذا المبدأ، تصديق الأوهام والخرافات، إنما تصديق الفهم الصحيح المنبثق من الدليل والبرهان.

الإيمان بالقرآن مفهوم عقلي، المصحف بين يديك تراه وتسمعه وتلمس أوراقه، الحواس وإدراكك تخبرك بأنه كتاب، فحواسهم رأته وسمعته، وعقولهم كفرته، فحواسك بمفردها لا تكفِ للإيمان به. كم من الناس الذين عاشوا في مكة ورأوا محمدا ﷺ وسمعوه ولم يؤمنوا به. فالقرآن الذي بين حواسك من ألفه ؟ وهذا المصحف كلام من ؟. التبرير بـ : " لا أؤمن إلا بحواسي " لكي تنفيَ الإيمان لا يكفِ تبريراً.

قال: حواسي لم تر الله، فكيف أؤمن به ؟ والجواب: كون حواسك لا ترى الله، لا يعنِ بأنه غير موجود. ربنا أرسل رسلاً وأنبياء ببراهين وأدلة تثبت بأنهم مرسلين من عنده، عليك أن تفحص البرهان، ربنا حجب رؤيته في هذه الحياة الدنيا، لكنَّ كلامه بين يديك، هل هذا القرآن ألفه محمد عليه الصلاة والسلام ؟ أألفه بشر؟ هل بمقدور البشر تأليفه ؟

كل براهين الأنبياء والرسل محصورة بوجودهم بين قومهم، والقرآن آخر الكتب ولا يحتاج إلى كتاب بعده فالبراهين موجودة فيه دائما. خذْ مني هذا المعلومة الظريفة: أنا أقول لك الحس يؤكد الغيب، أرجو بأنني لم أصدعك نصفين بهذه العبارة.

<u>اجعل الغيب حسا. سأعرض طريقة لجعل الغيب حسا</u>

مضطرٌ أن أضع بعض الآيات لأوضح هذه الفكرة، الآيات لقصة رجلٍ مرَّ على قرية وتساءل: كيف الموتُ يبعث؟

اعتاد بعض القراء أن يكتب ملاحظة أو فائدة على هامش الكتاب، لنتخيل لبرهة: أنك وضعت بنفسك على هامش الكتاب بدلا من كتابة ملاحظتك. لنخطو خطوة تالية، ننتقل من هامش الكتاب وندخل الصفحة ونمشي بين كلماتها، طبعاً هذا الكلام، تصور ذهني فقط، بالتأكيد لا أحد يستطيع أن يدخل كتاباً حقيقياً أو أن يمشيَ فيه. قد لا تحبُ هذا، وقد لا تعجبك هذه الطريقة. لكنني سأفعل لكي أعرض لك القصة عرضا آخر.

" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " البقرة ٢٥٩ .

معاني المفردات: " لَمْ يَتَسَنَّهْ ": لم يتغير، " نُنشِزُهَا ": نرفعها ونركب بعضها على بعض.

وجه الغرابة: رجل مات مائة عام. ردَّ الله روحه وأعاده إلى الحياة بعد مائة عام. حُفِظ طعامه وشرابه مائة عام ولم يتغير. رأى تخلق حماره أمامه الذي كان ميتا أيضا، بل ورأى كيف ارتفعت العظام وكُسيت لحما ثم عادت فيه الحياة.

حينما مرَّ الرجلُ على القرية -التي في آيات سورة البقرة - كنتُ أنا خلف شجرة ولم يعلم الرجل بوجودي. تواريتُ واختفيت عنه وكنت أراقبه، وبطبيعتي البشرية لم استطع أن أعرف سبب توقفه مع حماره عند القرية الساقطة على عروشها، وحينما نظر متأملا في الخراب. ظننته تذكر صاحبا أو قريبا أو طفولته التي أمضاها في هذه القرية. لم أعرف بأنه تساءل متعجبا: كيف سيرجعُ أموات هذا القرية ويبعثون من جديد ؟!.

رأيتُ الرجل سقطَ، وسقط معه حماره ميتين، لم يثر غرابتي الأمر البتة. هذا حدث طبيعي، لم أفكر أن أتناول طعامه لأسدَّ به جوعي، أخذتني غفوة بسيطة وغلبني النوم، ثم صحوتُ فرأيت الرجل عاد من جديد. ظنَّ أن إغفاءةً دهمته يوما أو بعض يوم ولا غرابة في هذا. لكنه اندهش برؤية عظام حماره الميتة، وهذا لا يحدث إلا بمضي وقت. المعتادُ، أن يهجم الدود على الجثة ولا يبقِ منها شيئا سوى العظام التي مع الوقت ستتلاشى أيضاً. ثم لا تنسَ أن الرجل لم يشم عفن جثة الحمار ولم يرَ موت الحمار لكنه رأى: أن العظام تجمعت وقامت، ثم كُسيت لحما وهو شاهد هذا كله أمامه، فرأى كيف عادت الحياة.

لا زلتُ واقفا خلف الشجرة، لو كنت مكانك لكذبتُ ما رأته عيني. لكنني لن أكذب خبر القرآن، خبر القرآن أصدق من عيني.

أتعرفُ أين غرابتي مع المؤلف في قصة الرجل الذي مر على القرية ؟

أولا: كيف عرف المتهم بالتأليف شعور الرجل في تلك اللحظة وحديثه الشخصي الداخلي؛ لأن هذا هو محور القصة. السؤال: أنت رأيت القصة حدثت أمام عينيك وكانت حاضرا جميع أحداثها.

وهل تشك لحظة واحدة بأن قصة هذا الرجل غير حقيقية لغرابة أحداثها؟ هذه الحادثة حضرتها أنت على امتداد مائة عام، رجل مات مع حماره، وطعامه لا زال باقٍ لم يتغير، والمفترض بالطعام أن يكون الأسرع تغيُّراً.

الذي أردتُ أن أقوله: حينما تعيش مع القرآن وتصير داخل صفحاته وترى ما ترى وتسمع ما تسمع وتتذوق ما تتذوق وتعجب مما تعجب بحواسك وتصدقه كأنك تراه، يصيرُ خبر القرآن أشدُ صدقا ويقيناً وعلماً من حواسك كلها، وهذه هي الحقيقة.

قد لا توافقني ولا تقبل، هذا شأنك. لكن إذا وافقتني، فارجعْ قليلا وادخل صفحة سورة الصافات، وشاهدْ إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة السلام يتحاوران في الذبح وصار الذبيح أضحية. أرأيتَ كيف صار الغيبُ حسا، لا تعجب مني بل أنا أتعجب منك، كيف جعلتَ الحسَ غيبا، ولم تجعل الغيبَ في القرآن أشدُ حسا **!**.

لسنوات تذهب إلى جامعتك كل يوم، ولا تدرِ بعدُ هل هي موجودة حتى تراها ؟! حينما ذقتَ الطعام، هل كان مذاق لسانك أم مذاق ذاكرتك ؟! الأشياء موجودة حتى ولو لم تكن أنت موجودا، ليس وجود الأشياء مرتهنٌ بإقرار وجودك وعقلك لها، أأذا نمتَ وفقدت وعيك، غابَ ونامَ الكون معك !.

يا صاحبي المشكلة ليست الحس والإدراك. إنما المشكلة العظمى العبث بإدراك الإنسان. قلت لك سابقاً بأننا نرى الأشياء ولها معان في إدراكنا، الذين يعبثون بالإدراك كثيرون، بل وصل العبث بالإدراك الحسي نفسه، أن يباع ويشترى. افترضْ بأنَّ شركة تسويقية عبر الهاتف، وجد مدير الشركة أن الرجال يفضلون صوت النساء في الهاتف موظفة التسويق لم تكن ماهرة في تسويقها، لكن موظفاً في شركتك بارع جدا في التسويق، ماذا تفعل لتجعل من الرجل امرأة؟ ضع جهازاً يغير صوت الرجل إلى صوت امرأة، حققت أمرين: التسويق بصوت المرأة، وبدلاً من أن توظف شخصين، وظفت شخصاً واحداً، أنا لا أدعو إلى هذا.

انظر في إعلانات التلفاز، إعلانات التسويق في الشوارع، هذا فن خاص بذاته يتكرر دائماً على الشاشة ظهور الحسناء مع صابون أو شامبو، حتى يصيرا شيئاً واحداً، فإذا ابتعت يوما ذلك الصابون، هل كان لخصائصه؟ أم أنَّ حُسنَ المرأة التي كانت على الشاشة صار صابونا فاشتريته؟ أعطيك شيئاً مفيداً: إذا رغبتَ أن طفلك يحب أمراً، وأنت تدرسه الرياضيات التي تخاف ألا يحبها، مع تدريسه أعطه قطعة حلوى صغيرة وقل له لا يمضغها إنما يبقيها في فيه، فحلاوة الحلوى ستنتقل مع تكرار الحلوى إلى الرياضيات، لكن ليكن شرحاً أيضاً ممتعاً.

وكالات التجسس تهتم كثيرا بالخداع الإدراكي في التنكر والتغيير ولو كنت وسط الناس بل يمارسه رجل السيرك في سيركه بخفة اليد. المقصود لا يقف الأمر عند ما تحسه وتدركه، هناك عبث عظيم في الإدراك. هذا بحث شيق لكن ليس عندي الوقت لمثل هذا، ثم إنني أخشى تعليم الناس كيف تخدعهم، وهذا الذي أنا أعيش مرارته كل يوم.

لنرجع إلى إدراكك: كأنك قلت عن قصة الرجل الذي مرّ على القرية أنها أساطير الأولين.

كلامك موجود في القرآن، بل حتى أنهم حددوا زمن كتابة الأساطير قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. كنتُ واثقا بأنك ستتكئُ على أساطير الأولين، أليس من أساطير المعاصرين: قولهم بأنه لا يؤمن بشيء حتى يراه !

كيف صدَّق الناس بأن أصل الإنسان كان قرداً !. كيف صدقوا بانفجار الكون ! كل هذا ظنون وتخمينات، مثلاً: قولك أن الكون: يتوسع وانكمش وتفجَّر، افتراض وتخمين، يتوسع في أطرافه؟ يتوسع أين؟ هل كوننا هذا كله في كون آخر فيه يتوسع؟ هل رصدت مراصدك ما لم يرصد ؟ ماذا رصدَ مرصد الصين الجديد ؟ القول بالانفجار والانكماش والتوسع، افتراضات فقط. الكون قد يتوسع وقد ينكمش، لا اعتراض على أي أحد منهما، الذي قصدتُ أنَّ كل هذا فرضيات بمعادلات رياضية.

إن شئت وسعت الكون وإن شئت ضيقته، المعادلة الرياضية على هواك، صنعوا بالرياضيات أكوانا متعددة. أنت موجود بنسخ كثيرة في أكوان كثيرة. لم نعد هندوسيين في التناسخ، لم يعد البشر الذين يتناسخون فقط، بل صارت الأكوان تتناسخ.

قلتُ لك: وهذا الذي أنا أعيش مرارته كل يوم. إنْ صرتَ على الأرض جعلوا من الإنسان قداسة، وإذا دخلت المعمل صار العالِم الفيزيائي الكوني صاحب قداسة أيضاً !. انتهينا من دارون الذي جعل للقرود قداسة، ما هذا الذي نحن فيه ؟! لمَ صيرتَ العلم سياسة، من أنت أيها الإنسان لتفعل هذا العبث في مسيرة الإنسان.

صار العلم عبثا، لم ينقصه إلا المعادلة الرياضية، صِغْ المعادلة الرياضية، لا تنسَ ثابتها. بعد اختراعك المعادلة، أيقنتَ بأنَّ الأمر صار حقيقة.

معذرة، أهذا دجل رياضي جديد. أي علم هذا الذي نحن فيه ؟!. ثم مع هذا العبث الرياضي الجديد، يجيء فلكيون في عقود قادمة ويرفضون كل نتائجنا بمرصدهم الجديد.

لماذا لطخت العلم بالسياسة، لماذا صار عالم المعمل ككاهن الغابة البدائية، لماذا جعلت من العلم خرافة ؟!. كلنا نخطئ ونصيب، لماذا جعلت أوهامك وفرضياتك يقينا.

الظريف لأنك رفضت تفسير الدارونيين ورفضت فرضية الانفجار الكوني مما صار عندهم من المسلمات - وهي بالتأكيد ليست من المسلمات العلمية - أقول: صنفوك وطردوك من الوظيفة الجامعية وألحقوا بك الفضيحة العلمية ومنعوا أبحاثك من النشر في المجلات العلمية !.

أين العلم ؟ وأين الموضوعية ؟ وأين الحرية العلمية !. اضمحلَ كل هذا؛ لمعارضة إلحاد رئيس القسم العلمي في الجامعة العلمية؛ لأن من مفاخره التكذيب بالدين، وعنده الدين والعلم لا يجتمعان. طُرِدَ بعض الباحثين القائلين بالتصميم الذكي من الكلية العلمية وإن اتفقوا معهم في إلحادهم.

فَصَلَ القانونُ الفيدرالي العلم عن الدين. ويعاقب معلم المدرسة إذا نسب الحيوانات التي يشرحها في درس العلوم في الصف الابتدائي إلى الخالق. لأن هذه النسبة إلى الخالق خالفت القانون العلماني الذي فصل الدين عن العلم.

أليس الإلحاد دين ؟! لماذا لم يفصلوا الإلحاد عن الفيدرالية ؟! عبث علمي في عبث سياسي في عبث إنساني، يئنُ الإنسان أنينا بهذا العبث.

يا صاحبي: على الأرض التي أنت عليها، ظواهر طبيعية جيولوجية لم يفهمها العلم بعد. وهذا طبيعي وليس فيه تقليل من أهمية العلم، بل على العكس التعلم له أهميته. أنا لا أتكلم عن هذا. الذي أقوله: في العلم كثير من الفرضيات القابلة للصواب والخطأ. العلم الطبيعي الذي تتكئ عليه ببعض فرضياته غيب وتخمين. بل من

علماء الطبيعية من هم مؤمنون مسلمون، لكنك مِلتَ إلى جانب الملحدين منهم. فأنت انتقائي في إلحادك. وهذا قرارك، لكنه بالتأكيد ليس قراري؛ ليس لأنني خرافي أسطوري. بل لأن الإيمان يحتاج إلى أنبياء ورسل وبراهين.

يا صاحبي: كيف صدقتَ بعض هؤلاء الطبيعيين الملحدين، ولم تصدقْ الأنبياء المرسلين؟ كيف وضعتَ رقبتك تحت نصل الداروينية القردية والكونية الانفجارية ؟!.

ضع في حسبانك أن العلم في الطريقة ليس في التفسير فقط، العلم الطبيعي تجربة ومقياس وعلاقات وإثبات بدليل.

العلمُ يبدأ من الطريقة إلى التفسير. ليس العلمُ أن تفسرَ ثم تبحث عن الطريقة، لك أن تسميه الاستعمار العلمي الجديد، كان الاستعمار جغرافيا، ثم صار سياسيا، وصار في الكليات الجامعية استعمارا علميا، هذا مستوانا نحن البشر.

ليس العلم الطبيعي سببا حقيقيا لأن تجعله تبريرا للإلحاد. يبهرك العلمُ بكشف بعض النظام العجيب في الكون والطبيعة والخلق والإنسان. كيف صارت تلك النطفة التي لا تُرى بطول مترين. من وقَتَّ للطفل بعد عامٍ خروج الأسنان، كيف تزامن شرب الحليب مع الطعام، يعضُ الصغير ثدي أمه لتفطمه وللطعام تطعمه، من وقتَّ سقوط سنك في السابعة، من وقتَّ خروج شعرك بين الحادية عشر والخامسة عشر في بعض أماكن جسمك؟

من وقتَّ للمرأة حملها؟ من وقت للرجل رجولته؟ كيف خرج للرجل لحية وشنبا، وليس للمرأة على وجهها شعرا. من وقتَّ للشيخوخة وقتها، من زامنَ ما حدث للقمة الطعام حينما دخلت فاكَ إلى أن خرجت. نحن في نظام عجيب. والغريب: أنَّ هذا النظام المتقن، جعل البعض فوضوي في التفكير!.

لا شكَّ، أنَّ كل العلماء لهم قدْرهم ومكانتهم العلمية، لا جدال في هذا. لكنهم بشر مثلي ومثلك يصيبون ويخطئون. فلن اعتمدهُم في قرارات مصيرية عليها الجنة والنار. فهذا أمر لا مجازفة فيه. وليس عندي عذر حقيقي بعدم الإيمان، والقرآن برهان وحجة، والمدفون في المدينة عليه الصلاة والسلام عليَّ حجة، وصحابته رضي الله عنهم عليَّ حجة، فأين المفر؟!

اسمعني: قول عالم في الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الفلك أو الكون أو الرياضيات أو الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة أو التربية أو الأدب وقس على سائر العلوم، حتى علم القرآن والاعتقاد والشريعة، أقولُ: كوْن عالم قال بفهم أو بافتراض أو بزعم، لا يصير حقيقة؛ لأنه قال به عالم.

انتبه، لا تصير الحقيقة، حقيقة علمية؛ لأن فلانا قال بها، لا يصير الإنسان قردا؛ لأن عالما قال به، ولا يصير الإلحاد حقيقة؛ لأن عالما ملحدا قال به، هو مجرد كلام وتصور بحاجة إلى إثبات.

كيف جعلنا التصورات والفرضيات، حقيقة. هل وضحتُ فكرتي؟ الحقيقة تثبتُ بدليل وبرهان لا تثبت بقول الأشخاص. فالفرق عظيم بين الظاهرة العلمية وتفسير هذه الظاهرة. شيئان مختلفان تماما.

الأمر جدُ يا صاحبي لا هزلَ فيه. ربنا سبحانه أرسل رسلا وأنبياء. القرآن غيب وبين يديك، القرآن لم يؤلفه بشر، فمن ألفه ؟. من جعل عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسعى، من الذي فلق البحر، ومن الذي أرسل على قوم فرعون الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، من الذي فلقَ البحر وأغرق فيه فرعون.

" وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ " النمل ١٠

" فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ " الأعراف ١٣١-١٣٦

ومن الذي أعطى عيسى عليه الصلاة والسلام آيات بينات على نبوته ورسالته
" إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" آل عمران ٤٥-٤٩

فهذه الآيات من ربنا هي من دلائل النبوة، وكذلك القرآن الكريم من دلائل النبوة. ربنا أمرنا بالسير في الأرض والتفكر في السموات والأرض لنؤمن ونزداد يقينا بالخالق وتصيرنا عبادته أعظم وأخشع وأطوع. صار الكون والخلق بين أيدينا في البرامج الوثائقية العلمية، ومع كل هذه الحقائق، لا نزداد إلا انصرافا عن عبادة خالق الكون.

فالاحتجاج بالمذهب الحسي على الإلحاد دليل ضعيف. فلا فصل بين الحس والعقل. فكما أننا ندرك واقعنا بحواسنا، فكذلك ندرك الغيب بالأنبياء والرسل. من الطبيعي، أن نعجبَ وننبهرَ بالمكتشفات العلمية المعاصرة وهذا الذي ينبغي، وعلينا أن نسعى بكل جهودنا في الإنتاج العلمي العالمي الذي يعود بالخير على الإنسان. لكنَّ هذا لا يعنِ أن نتجاهل أهمية وجود الأنبياء والرسل في حياة الناس. فالعلم لجزءٍ من الحياة، والدين لكل الحياة.

(١٩) سَلِ المنكرين بصدقك إن كنت شاكا بنبوتك

ألا تعجب ؟!. أمرَ أنْ يسأل الجاحدين بالنبي ليؤكدوا له نبوته !. هذا من أعجب العجائب: إن كنت شاكا في نبوتك ورسالتك، فسلْ من يكذبك ويجحدك وينكرك ليثبت لك هو بنفسه بأنك على الحق وما جاءك هو الحق

" فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ " يونس٩٤

أتجعل خصمك الذي يكذبك شاهدا على صدقك !. مكذبك هو الذي سيصدقك ويزيل شكك بنبوتك !. هل رأيت شاكاً في نفسه فعل ذلك من قبل ؟! إذا كنت غير متيقن بأنك نبي مرسل فَسَلْ أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين يجحدونك، لكنهم لا يكذبونك. الجحود إنكار بعلم، يعلمُ المنكرُ أن جحودَه غير صحيح، هذه مسألة صعبة؛ لأنك واثق من دخيلة من يجحدك ولو أنكر، كيف تأتَّى للمؤلف هذا ؟!. كيف سَبَر نفوسهم !.

هل هذا يفعله مؤلف كتاب ؟! هو واثق بأنهم يعرفون نبوته، لكنهم يجحدون. كما تعلم، كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى واثقين بمجيء نبي بعد موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، جاء هذا النبي وهاجر من مكة إلى المدينة، أنكره أهل الكتاب بل حاول اليهود قتله، سؤالي: هل جاء نبي غير محمد عليه الصلاة والسلام بكتاب منزل ؟ من المدفون في المدينة المنورة ؟ من هو ؟ هو خاتم الأنبياء والرسل، كيف نصدقه ؟ ما البراهين على نبوته ؟ الجواب: هذا القرآن.

رأى اليهود والنصارى هذا النبي، وعرفوا نبوته لكنهم جحدوا، كما أنكرت أنت. الفرق بينك وبينهم هم واثقون بأنه النبي الذي بشَّر به عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنت متردد أو منكر.

" وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " الصف ٦

لماذا أخذ النصارى الجزء الأول من الآية بأن الإنجيل مصدقٌ للتوراة، وتركوا الجزء الثاني بشارته بمجيء نبي اسمه أحمد ؟. ليتك تسأل إنجيل النصارى: أين ذكر محمد ﷺ في الإنجيل؟ إما إنه مذكور، وإما إنه ليس

مذكورا؟ إنْ كان مذكوراً، لماذا لم تؤمنوا به ؟!. وإذا لم يكن مذكورا في الإنجيل المعاصر؟ فمن غيَّر في الإنجيل وبدله ؟!.

فلنرجع إلى موضوعنا: سَلِ المنكرين بصدقك إن كنت شاكا بنبوتك كيف تطلبُ ممن يكذبك أن يصدقك ؟!. أأنت مستوعب لهذا المعنى ! هو يذهب إليهم بنفسه، إلى الذين يكذبونه ليسألهم: هل أنا النبي الذي ذكرت في كتابكم ؟! أية ثقة هذه ؟ أية مغامرة ومخاطرة هو مقدمٌ عليها !

الجواب بهذه البساطة: الذي طلبه أن يسأل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، هو الذي أنزل الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن؛ فهو عالم بكل ما أنزل، كله كلامه سبحانه وتعالى.

بعد إذنك، دعني أصحح معلومة لك: إذا ادعيتَ أنها أساطير الأولين، فدعواك هذه لا يعني أنها صحيحة، فهذه الدعوى سبقك بها آخرون كُثُر. ودعواك هذه لا تبطل هذه الحقائق، فليست الحقيقة متوقفة على قبولك أو رفضك، ليس تقرير الإيمان والكفر مبني على موافقتك ورفضك.

(٢٠) ورطة الجحود

" قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ " الأنعام ٣٣

جاء توضيح الجحد في معجم ألفاظ القرآن الكريم الصادر عن مجمع اللغة العربية عند مادة (جحد) والتي تعني أنكرَ وهو يعلم أن الحق بخلاف ما جحده.

القول بالتكذيب أسهل من القول بالجحود، وصفهم واتهامهم بالجحود أصعب. وصفك له بالجحود يتضمن معلومة تعلمها عن داخله، وهذه المعلومة يخفيها عنك، فأنت وصفت شخصا وصفا داخليا لا يظهره، وهذا الوصف لعمل قلبي، ليس وصفا ظاهراً.

الجحود وصف لتفكيره المخفي الذي لا يظهر للناس، ولم يكتفي بهذا، بل قال للملأ وجعلها آية في كتابه. وهذا فيه تحدٍ أكبر. كيف عرفت أنهم يخفون هذه المعلومة ؟!. هل تعرف لغتهم العبرية، هل تعرف لغة الإنجيل؟ الجواب لا. هذا صعب جدا أن تصف شخصا بأنه يؤمن بما يجحده، لكنه لا يقر به على الملأ.

وقال عنهم في موضع آخر أنتم لا تجحدون فقط، بل أنتم تعرفونه كما تعرفون أبناءكم. هل ثمة دعوى أكبر من هذه الدعوى. قال لهم المؤلف: تعرفونني كما تعرفون أبناءكم. هل تنكر ابنك ؟ إذا تعرف ابنك ولا تنكره، فكيف أنكرتني ومعرفتك بي ويقينك بي كيقينك بأنَّ هذا الولد ابنك. فإما أن تصدقه وتكذبهم وإما أن تكذبه وتصدقهم !. وعلى هذا إنكارهم لنبوته كإنكارهم لأبوتهم لأولادهم. هل أدركت عِظَمَ هذا الإنكار !.

" قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ " الأنعام ١٩ - ٢١

من الصعب أن تقول لشخص أنت تجحد الحق؛ ومكان الصعوبة أنك لست واثقا مما يخفيه. وهذا المخفي لم يطلعكَ عليه. ثم تجيء وتقول له أنت تجحد الحق الذي تعرفه.

" يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" التغابن ٤

هذا يصدق عليه مبدأ: نقرِّر ثم نبرِّر. رفضَ دعوة النبي لكنه موقن دخيلة نفسه بأنه النبي الذي أخبر عنه أحبارهم وعلماءهم. لكنه اختار الجحود. واختار الآخر العلم الطبيعي جسرا إلى الإنكار والجحود. وهو ليس السبب الوحيد للكفر. إنما يتكئ عليه الملاحدة كثيرا. وما أوهنَ هذا الاتكاء.

(٢١) معارضة اليهود والنصارى في أصول عقائدهم

القرآن الكريم مليء بهذا، كفى أن تعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام ناسخ لجميع الرسالات السابقة وكاشف لتحريفها، بل قال جاء ليبين اختلافهم، يكفيك إبطال تثليث النصارى.

" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا " مريم ٨٨ – ٩٠ .

الكلمة	المعنى
إِدًّا	عظيماً منكرا
يَتَفَطَّرْنَ	يتشققن ويتفتتن
وَتَنشَقُّ	تتصدع
وَتَخِرُّ	تسقط وتنهدم

هل رأيت هذا الوصف العظيم لو حدث للسموات، وللأرض وللجبال، وهم يقولون بألوهية عيسى عليه الصلاة والسلام ملء أفواههم ورسموه أشكالاً وأحجاماً وألواناً في كنائسهم. وجعلوا أصنامه مباركة تشفي المرضى وتحقق الأماني وهي سراميك وحجر على هيئة إنسان متخيل.

ذُكِرت في القرآن الكريم قصة ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام على التفصيل وعن أسرته آل عمران، وعن جدته التي رغبت بولد في حملها، وعن أمه مريم عليها السلام. وعن كلامه في المهد وعن آياته ومعجزاته.

ويجيء أيضا ذكر قصة زكريا عليه الصلاة والسلام وزوجه العقيم وكبر سنه ورزقهما بيحي عليه الصلاة والسلام في سورة آل عمران وسورة مريم. ويقترن ذكر ولادة يحي مع ولادة عيسى عليهم الصلاة والسلام.

ويحي عليه الصلاة والسلام هو ابن لخالة عيسى عليه الصلاة والسلام. وجاءت ولادته في ظروف صعبة فوالده زكريا عجوز مسن، وزوجه - أم يحي – عقيم، فتقريبا ظروف ولادة يحي عليه الصلاة والسلام كظروف ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام. فلماذا صيرَّوا عيسى ولدا للرب سبحانه ولم يصيروا يحي ؟! ما حملهم على هذا؟!.

كذلك قصص موسى عليه الصلاة والسلام كثير في القرآن الكريم. رمْي أمهِ له في اليم، وأن اليم نقله إلى قصر فرعون. تصور أن فرعون يقتل الأطفال خوفا من الطفل القادم الذي به سيزول ملكه. ثم فرعون نفسه ينشئ الطفل في قصره وهو الذي يرعاه. أنت متصور لهذا.

ونعرف قصة هروبه من مصر إلى مدين وزواجه ثم التكليف بالنبوة والرسالة وما لقي في سبيل ذلك من أعدائه ومن قومه الإسرائيليين، أقول هذا كثير في القرآن الكريم.

السؤال المتعلق بالدليل العقلي: من أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم بكل هذا؟ أأخذها من الكتب الأخرى؟ هذا جواب ميت لا حاجة إلى عناء الرد عليه، هذا رجل أمي لا يعرف الكتابة والقراءة للغة قومه، فكيف عرف اللغات الأخرى !. ثم ما أخبر به يعارض كثيرا مما في كتبهم. لعلك تقرأ كتبا في موضوع اليهود في القرآن الكريم. أمرهم عجيب جدا في القرآن الكريم.

" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " النمل ٧٦ . إذا وصفك نبي مرسل، فأنت بين خيارات كثيرة ومنها: أن تعدل نفسك أو أن تظل على عنادك وتطغى وتتكبر. ليس من العقل في شيء، أن تسوء تصرفاتك مع من جاء ليعدل تصرفاتك. وللأسف هذا قصتهم القديمة والمعاصرة.

محمد عليه الصلاة والسلام ليس مُلْكٌ للعرب بل هو لكل الناس، فكل إنسان له الحق في هذا النبي الكريم إذا اتبعه، تجدُ العربيَ كافرًا ومكذباً قديماً وحديثاً، وتجد غير العربي مؤمناً مصدقا ومتبعاً له وإن لم يكن عربياً.

فحديثنا عن نبي مرسل، وهذا النبي المرسل معه دليله وبرهانه، وهو الذي أحدثك عنه من بداية هذا البحث إلى نهايته بأن هذا الكلام الذي جاء معه كله لا يصدر من بشر.

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ " المائدة ١٥

" مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ " هذا توصيف خطير لبعض أهل الكتاب. لكنه يتضمن بأن الواصف يعرف النسختين المخفية التي جرى فيها الإخفاء، ويعرف الجديدة ثم أظهر الفرق بين الكتابين. ليست الغرابة في هذا التوصيف، إنما الأغرب القائل بهما عليه الصلاة والسلام لم يرَ أيًّا من النسختين. بل وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

مثال على الإخفاء قول عيسى عليه الصلاة والسلام : " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " الصف ٦

السؤال: أين خبر محمد عليه الصلاة والسلام في التوراة والإنجيل ؟!. ونحن نعلم من السيرة النبوية وقائع حقيقية على الإخفاء من علماء اليهود والنصارى.

(٢٢) الإخبار بيقين عن الماضي والحاضر والمستقبل وبعد الموت

لا تجدُ المؤلفَ يشك أو يرتاب أو يتردد فيما يقوله مع احتواء القرآن الكريم العجائب والغرائب حسا وغيباً، لكن بالأدلة والبراهين يقول لك هذه هي الحقيقة.

من أين تأتَّى للمؤلف هذا اليقين بما يقول. هذا حديث يدخل في عناصر أخرى سابقة ولاحقة، حتى حينما أردتُ توضيحه قلتُ في نفسي ماذا سأوضح، من الصعب أن توضح الواضحات، كيف أصفُ لك الشمس والقمر.

نحن نقرأ الفاتحة في صلاتنا يوميا، دعني استل آية " اهدنا الصراط المستقيم " الجزم باستقامة الصراط هذا تقرير صعب؛ لتقرر بأنه مستقيم أو معوج بين الصفات الإنسانية، يدخلك في قضية أعقد وهو نظام المعايير ونظام الأخلاق والنظام الاجتماعي.

ولا يقف الأمر عند مجتمع، هو يعُم ويشمل كل البشر، هو يتحدى كل العرب والعجم ويقول لهم هذا هو الصراط المستقيم ولا غيره. وفي آية " المغضوب عليهم " من أوقع الغضب عليهم، كيف قرَّر هذا الوصف، وكذلك القوم الضالين، وصفهم بالضلالة، هذا تقرير صعب.

أمرَ حشرة النحل أن تتخذ الجبال والشجر ومما يعرشون بيوتا. تقرير أنَّ ما يخرج من بطونها شفاء للناس. هل هو طبيب متخصص في الباطنية، أم متخصص في علم الأدوية والحشرات. أأنت متصور عما أتحدث؟

" وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " النحل ٦٨ – ٦٩ .

" مما يعرشون " فيما يبنيه الناس من بيوت وخلايا، حتى الوصف باختلاف ألوان العسل في الآية. الألوان خلق من الخلق، الألوان في السماء ضوء هل الضوء موجة أم جسم أم هما معاً، قضية فيزيائية لم تفصل إلى اليوم، بعض الناس مصاب بعمى الألوان. هل رأيتَ فرحةَ شخص مصابٌ بعمى الألوان عندما رأى الألوان لأول مرة بعدما وضع عدسات مرشحات الألوان. هل قرأت كتاب هيلين كيلر (لو أبصرت لثلاثة أيام)، هل تساءلت: كيف عينك أبصرت ؟.

ألا ترى ما ترى، ألا تسمع ما تسمع ! انظر في السماء كخلفية لأية منظر أمامها، أتعلمُ مما أتعجب منه بعض الأحيان! أتعجب من إعجاب مشاهدين لرسمة فنان رسم فيها بعض الأشجار، ويزداد تعجبك قولهم انظر كيف استخدم الضوء والظل في الرسمة. أشجاره على اللوحة لا تنمو ولا تكبر.

عجبي أنهم لم يتعجبوا من اللوحة الحقيقية نفسها كتعجبهم من اللوحة الصناعية !.، ما رأوا فيها الضوء والظل، ما رأوا عروق ورق الشجرة، ماذا أحدثك لأحدثك، حتى الدودة التي في الأرض التي جلبت الهواء للجذر والشجرة، ما رأوها.

ورق الشجر أشكال وألوان وأحجام حتى الألوان تتغير في صحة الورقة ومرضها، تتغير من فصل إلى فصل، سؤال: من صنع هذا؟ من خلق هذا؟ هل رأيت حشرة صغيرة على ورقة ؟ هل أحسست برِّقتها على الورقة ؟ هل تعجبتَ من الورقة كيف حملتها ؟ هل تعجبت من ورقة خدعت الحشرة بعصارتها لتأكلها. حتى الورق يخدع. من علمه أن يخدع ؟!

حتى هذه الديدان عند الشجرة، أحجام وأنواع وألوان، هل رأيت طائر الهدهد كيف يصطادها ويبحث عنها.

هل أحدثك عن الهدهد في سورة سبأ ماذا فعل مع سليمان عليه الصلاة والسلام الذي افتقده. نبيٌ مَلِكٌ بهذا الملك افتقد سليمان عليه الصلاة والسلام طائراً. " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ " النمل ٢٠

" حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " النمل ١٨. هذا بعضا من قصة النبي سليمان عليه الصلاة والسلام مع النمل حينما مرَّ على واديهم

" فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " النمل ١٩. وانظر في الآية إلى وصف استجابة سليمان عليه الصلاة والسلام حينما سمع قول النملة وابتسم ضاحكا شاكرا لهذه النعمة. وهذا بحث يصلح للمتخصصين في

لغة الحيوانات والحشرات. وما أدراك ولربما كان هناك كلام بين النباتات والأشجار. قد تسخر من هذا اليوم، لكنه قد يكون حقيقة علمية في الأزمنة القادمة. ولعل أحداً يكتب مقالة أو بحثاً عن الشجر في القرآن الكريم وأوراقها.

أخبار الأمم السابقة وتفاصيلها، وأخبار يوم القيامة، وأحوال الناس حتى في داخل الجنة والنار. يحدثك عن كل هذا بيقين ليس فيه شك أو ريب. هذا أمر صعب جدا على مؤلف بشري أن يقرر إقرار الواثق المتيقن أحوال الكون وخلق الكون وخلق الإنسان وغير هذا كثير.

(٢٣) ترى في القرآن آمرا وناهيا ومخبرا للمؤلف نفسه

هذا العنصر باختصار شديد والقرآن الكريم كله عليه: أنَّ في القرآن متكلما، وأن المتكلم بعض كلامه أوامر، السؤال: لو كان المؤلف بشراً كيف أمر نفسه بهذه الأوامر؟ بعض الكلام فيه عتاب له، بعض الكلام قضية إفكٍ على زوجه رضي الله عنها، وصارت قضية المدينة الكبرى وحديث الناس. كيف كل هذا يصدره مؤلف بشري، يجيء من يسأله ولا يعرف الجواب، فتجد القرآن الكريم يستفتح الإجابة "يسألونك"، لم يقل يسألونني. أرأيت في القرآن الكريم متكلم، فمن المتكلم ؟ . الآيات التالية للتوضيح بأمثلة على آيات الأمر

"يسألونك" و "قل"

هل يقول المؤلف " يسألونك" أو سألوني، ثم ليس الجواب، جوابه.

" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ " البقرة ١٨٩ .

" يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ " البقرة ٢١٥

جاءت " يسألونك " ١٥ مرةً بإحصاء المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم. المجلد الأول صفحة ٦٠٩ . وجاءت " قُلْ " ٣٣٢ مرةً بإحصاء المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم. المجلد الثاني صفحة ٩٧٧

انظر من الذي خاطب المؤلف بهذه الآية. وغير ذلك كثير في القرآن الكريم

" يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ " المدثر ١-٧

وانظر هنا أيضا، من الذي كلم المؤلف بهذه الآيات والأوامر في نفس الآية. " قُمْ فَأَنْذِرْ " ، " فَكَبِّرْ " ، " فَطَهِّرْ " " فَاهْجُرْ " ، " تَسْتَكْثِرُ " ، " فَاصْبِرْ ". المقصود: في القرآن الكريم متكلم. وهذا المتكلم ليس هو النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

يمكنني أن أجيء بآيات كثيرة على الأمر والنهي والأخبار ؛ لكنني أريد الاختصار ما استطعت، ولئلا أكرر نفسي في مواضع أخرى.

(٢٤) ضبط مواضع الآيات في السور مع كثرته وعلى فترة طويلة

تصور أن عندك ثلاثة ألاف نصٍ من النصوص المختلفة في مائة وأربعة عشر موضعاً، كيف يستطيع دماغك ككاتب أن يفرز النصوص الجديدة التي كتبتها على هذه المواضع. إذا أردت موضعاً جديداً، كيف تصل إليه بين ثلاثة ألاف موضعٍ.

دعني أوضح لك بمثال واقعي لأوضح لك الصورة، هذا البحث الذي تقرأه مُقسم إلى عناصر. وأنا اقرأ القرآن في المسجد أو البيت تطرأ على ذهني بأن هذه الآية تصلح نموذجاً جيدا لعنصر ما، ولنفترض العنصر ١٤ الأفعال في القرآن الكريم. يحدث معي أحياناً أن أضع الآية في موضع خطأ مع أنَّ كتابتي مباشرة إلى الكمبيوتر مع خاصية البحث، فلاحظ بأنني أجد صعوبة في وضع الموضع الصحيح مع الكمبيوتر.

وافترضْ يا صاحبي، بأنني تركتُ البحث سنتين أو ثلاث، هل ستظنني سأذكر الموضع مباشرة، أم أحتاج إلى بعض الوقت للمراجعة ؟. ذكرت هذا للتمثيل فقط.

فكيف رُتبِّتْ مواضع آيي القرآن في ثلاثة وعشرين عاماً، كيف استطاع المؤلف أن يضبط هذا التنظيم. أن يضبط النص الجديد في هذا الموضع وليس ذاك.

بعض الأحيان، تجدُ تشابها كبيرا بين الألفاظ والمواضع، تجد قصة نبي تتكرر في مواضع، كيف استطاع المؤلف أن يضبط النص الجديد في هذا الموضع وليس ذاك.

دعني أزيد الموضوع وضوحا: هبْ أنك تؤلف رواية أدبية أو كتابا ما من خمسين فصلاً وكل هذه الفصول مفتوحة، تزيد موضعاً وبعد وقت تزيد في فصل آخر، اتركْ الكتاب ثلاث سنوات ثم أكمل من حيث وقفت. أين ستضع النص الجديد الذي في ذهنك بين الخمسين فصلاً، في ذلك الموضع تحديداً من أول مرة دون مراجعة أو تحرير أو تدقيق.

ليس في القرآن مثل هذا أبدا. تنزل الآية بمكانها المحدد بلا تغيير ولا تبديل. كيف أمكن لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يفعل هذا ؟!. والجواب: هو لم يفعله ولا يستطيع. لأن القرآن الكريم وحي منزل من رب العالمين.

(٢٥) تأخر نزول الآيات في مواضع ملحة وهل عاتب المؤلف نفسه

حادثة الإفك كمثال على تأخر الوحي: نزلت الآية بعد شهر من بداية الواقعة. وأحدثت حدثا جللا بين الصحابة رضي الله عنهم حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام تغيرَ على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وكل هذا وعائشة رضي الله عنها لا تعلم ما حديث الناس حتى عرفت رضي الله عنها. ثم برَّأها الله عز وجل من كل سوء وحاشاها رضي الله عنها. لكنه النفاق الذي يحدث في الأمة شروخا وخلافا ونزاعا.

" إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ " النور ١١ – ١٢ .

بعض مواضع العتاب:

" مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " الأنفال: ٦٧ .

" وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا " الكهف ٢٣ .

" عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى " عبس: ١ – ١٠

(٢٦) المقارنة بين أصول الأديان

لا يلغِ الدين عقلك. بل يطالبك بإعمال عقلك لتعرف من تعبد وكيف تعبده وكيف عرفت دينك، بعرضٍ آخر :

(١) من ربك (٢) وما دينك (٣) ومن نبيك

هذه محاور ثلاثة رئيسة لمعرفة أية دين، وهي اسئلة ملائكة القبر. وعلى هذه الأصول الثلاثة انظر في أية دين، هل الرب عرَّف عن نفسه؟ أم صنع البشر ربهم ؟. هل أرسل الرب رسلاً وأنبياء ليرشدوا الناس إليه ؟ ما الشريعة التي يعملون بها هل هناك واجبات ومحرمات ومباحات ؟ لماذا كان النبي بشراً ؟ هل مع النبي شرع جديد أو تابع لما قبله ؟ هل مع النبي كتاب مُوحىً إليه به ؟

مَنْ البوذيون؟ من بوذا ؟ ماذا يعبد السيخ الهندوس ؟ اليهود يعبدون من؟ النصارى من ربهم؟ من نبيهم؟ ماذا يعبد المسلمون؟

الأرض مليئة بالأديان والاعتقادات بغض النظر عن وقتها ومكانها، ومن آخرها السنتولوجي في أمريكا التي تشبه وثنية شعوب غابات الأمازون وقبائل أفريقيا، يبدو لك الشكل مختلفاً، وفي الحقيقة ليس ثمة فروق كبيرة بينها. البوذية والهندوسية وغيرها من المسميات المختلفة هي نتاج مجهود بشري.

هل هي أديان محرفة من أديان صحيحة، جواب هذا ليس من أهداف البحث، سنصرف النظر عن أية دين صنعه البشر ما عدا ثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام. يعتقد المسلمون حتى اليهودية والنصرانية هي الإسلام بمعنى الاستسلام لعبادة إله واحد. فالدين بمعناه العام الاستسلام للرب باتباع نبيه ودينه بهذه البساطة، وكم ذلك صعبا عليهم !.

الدين الذي جاء به الرسل من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام دين واحد مع اختلاف الشرائع.

قصدت بالشريعة الأحكام والقوانين التي تنظم حياة البشر في قوانين العلاقات الأسرية والمعاملات المالية والأمور القضائية حينما يقع الاختلاف بين الناس ليحقق القاضي العدل بين المختلفين. وقوانين العقوبات التي تنفذ على المخالفين. فهذه تختلف من دين إلى دين لكن الإله الرب المعبود واحد.

من المؤشرات المهمة في معرفة الدين الحق: التكسب بالدين والتدين. فهل يكتسب علماء الدين من قساوسة وحاخامات ورهبان قداسة وصفات ربانية كأن يطرحوا على الناس بركات بتمسحهم بهم، أو يتخذونهم أصناما وقبورا بعد موتهم، وهل يعترف الناس بالذنوب لهم ويغفروا لهم ، وهل الناس يتبرعون بأموالهم لأشخاصهم يتملكونها كالخمس أو العشر الذي يصيروه دخلا شخصيا ماليا.

هل يبيحون عبادة القبور والأصنام والصلبان. فهذه التصرفات من العلماء أنفسهم أو من الناس تنبئ عن التكسب بالدين. مثلا في بعض البلدان يمر الرهبان الصغار والكبار على بيوت الناس ليتبرعوا بالطعام لهم مجانا التماسا للبركة. عند بعض طوائف المسلمين يتبرع الناس لشيوخهم بالخمس من دخلهم المالي.

ويطوف صغار حلقات القرآن على الناس طلبا للتبرع الشخصي لهم. وعند بعض رهبان الكنيسة يتبرع الناس بالعشر من أموالهم للكنيسة وللرهبان. فهذا كله تكسب بالدين. وبعض علماء اليهود يحلل الحرام ويحرم الحلال. وكل هذا نقيض التدين تماما. فليس الدين والتدين وسيلة من وسائل الكسب المالي. ومن المؤشرات القول بالنبوءات والرؤى وأماكن المعجزات عند رهبان النصارى وغيرهم. وهذا يحتاج إلى بحث بعنوان: المقدس والقداسة. كيف يُصيِّرون الشيء الجماد أو الحي وحتى نهر الجانجا الهندي الملوث بجثث الموتى ورمادهم المحروق صيروه مقدسا.

" إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " البقرة ١٧٤

(٢٧) انتقاد اليهودية والنصرانية دون دراستها ومعرفتها

يتفاوت الناس في السمع والطاعة للأنبياء والرسل، ويتفاوتون حتى في الاعتراض عليهم ورفضهم، بل يقوم البعض بقتلهم، كان فرعون يطارد موسى عليه الصلاة والسلام، وفي تاريخ النصارى هرب عيسى عليه الصلاة والسلام من فلسطين طفلاً وهو في الثانية من عمره مع والدته إلى مصر ومكث أربعة أو خمسة أعوامٍ في بلد أسيوط المصرية الأرثوذكسية التي صيرت مكان مكثهِ الذي لجأ إليه عيسى عليه الصلاة والسلام كنيسة مقدسة. وفي كنيسة أخرى جعلوا صندوق منحوتة الصلب مكانا مباركا لتعليق الحاجات وطلب الشفاء والبركات.

الأسئلة المرتبطة ببحثنا: هل درس محمد عليه الصلاة والسلام اليهودية والنصرانية؟ هل قرأ التوراة والإنجيل؟ هل التقى بعلماء اليهود والنصارى ودرس عندهم؟ وحينما هاجر إلى المدينة هل اعتنق اليهودية ؟

إذا كانت إجابات هذه الأسئلة بالنفي بأنه ما درس وما قرأ وما تلقى من علمائهم، وما درس عندهم ولم يتهود باليهودية. فكيف انتقد أديانهم وعارضهم وبيَّنَ لهم ما الذي يختلفون فيه وذكر أفعالهم مع أنبيائهم بل وتحدى بعضهم وطلبهم للمباهلة كما فعل مع نصارى اليمن.

اسمعني جيدا: لكي تنتقد موضوعاً، ينبغي عليك معرفته معرفة جيدة، فكيف إذا كنت ستعقد مقارنة لدينٍ في زمانين مختلفين، لأوضح لك أكثر: لكي تنتقد اليهودية المعاصرة والنصرانية المعاصرة يجب أن تعرفها اليوم، وتعرف أيضاً اليهودية القديمة والنصرانية القديمة لترى الاختلاف بينهما.

فكيف عقد محمد عليه الصلاة والسلام المقارنة في مرحلتين إبان عهد موسى وعيسى عليه الصلاة والسلام للتوراة القديم والجديد. وفي عهد عيسى عليه الصلاة والسلام للإنجيل القديم والجديد وهو لم يدرس أي منهما ولم يعاصر الأولى، ولم يقرأ كتب المرحلة الثانية.

هل أنتَ معي؟! إذا لم يعرفهما فكيف تسنى له نقدها ومقارنتها ؟! انظر هذه الآية في وصف عيسى عليه الصلاة والسلام:

" إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ " الزخرف ٥٩

سياق الآية في الحديث عن عيسى عليه الصلاة والسلام بأنه من بني إسرائيل وأرسل إلى الإسرائيليين أيضا

" وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ

إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ " الزخرف ٦٣-٦٥

تأمل في الآيات " وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ " " إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ "

حتى عيسى عليه الصلاة والسلام جاء ليبين ويعدل اختلاف بني إسرائيل وأعظم تعديل هو عبادة الله وحده.

في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو بينهم اتخذ بعض اليهود عبادة العجل فما عساه أن يحدث وهو ليس بينهم. وفي التوراة المعاصر والقديم تعديل وتغيير وتحريف بأيدي اليهود أنفسهم.

وللأسف فعل النصارى فِعلاً أعظم من فعل قوم موسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم بأنَّ عيسى عليه الصلاة والسلام ربا وليس هذا فقط بل هو أحد الثلاثة الأرباب ؟!. هذا الذي وُلِد طفلا صغيرا نما وكبر ومشى في الأسواق وهرب إلى مصر صيروه ربا. بل أضافوا عواطف ومشاعر وأحزانا في قضية الصلب، والغريب جعلوا الصليب مباركا وهو عليه قُتِل إلههم قبل قيامته. ولو نظر بعض النصارى إلى قول ربنا عز وجل

" إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ " آل عمران ٥٩

لوجدوا أن مجيء عيسى عليه الصلاة والسلام بلا أب لا يجعله إلها. وهو يشبه خلق آدم عليه الصلاة والسلام من حيث الخلق بلا أب. وبشرية عيسى عليه الصلاة والسلام هي التي جعلته يأكل ويشرب ويخالط الناس في الأسواق.

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ " المائدة ١٥

هل أخفى أهل الكتاب كثيرا من الكتاب ؟!. ما الذي أخفوه ؟ وعلى من أخفوه ؟. هذا أمر عجيب في وصف أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنهم أخفوا من الكتاب الذي أوحيَ إلى أنبيائهم هذا الأمر الأول.
والأمر الثاني: وَصَفَ كمية الإخفاء بأنها كثيرة. السؤال المهم هنا فيما يتعلق بموضوعنا بشرية التأليف: كيف عرف الاختلاف بين اليهود والنصارى ؟ وعرف مقدار الاختلاف الذي هو كثيرا. كيف عقد هذه المقارنات بين اليهود والنصارى وعقد المقارنة بين النسخ الأصلية التي لم يجري عليها التبديل، والنسخ التي جرى عليها التبديل ؟!. هذه دعوى صعبة جدا. لكنه واثق تمام الثقة أن الذي قاله صحيح.

" وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ " آل عمران ١٨٧

أخذ ربنا عز وجل المواثيق والعهود على أحبار وعلماء أهل الكتاب بالتبيين وعدم الكتمان والذي حدث أنهم " فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ " أي تركوا العمل بهذين الأمرين بسبب الجاه والمال والمكاسب المادية والمعنوية. ومن الأمور التي أخفوها هو نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

أعظم وأخطر اختلاف بين أهل الكتاب وأهل القرآن:

عند اليهود:

إبطال أية دين سماوي بعد موسى عليه الصلاة والسلام، وإنكار رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام مع أنه عليه الصلاة والسلام من بني إسرائيل.

وصف اليهود بتحريف التوراة

" فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ " البقرة ٧٩

عند النصارى:

قولهم بالتثليث. الزعم بأن عيسى عليه الصلاة والسلام إلها وربا. وأنه تحول من الحالة البشرية إلى الإلهية بأن صار إلها وجزءا من الإله. وهذا أعجب من عجائب اليهود الذين لم يزعموا بألوهية موسى عليه الصلاة والسلام.

تكذيب ألوهية عيسى عليه الصلاة والسلام

" وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ " المائدة ١١٦

ومن المؤسف، أنهم هم اختاروا وحددوا هذا الولد له ثم صيروا الولد إلها، ثم صُلِب تكفيرا عن خطيئة آدم عليه الصلاة والسلام الذي تاب وأناب، وقبَل ربنا توبته.

" فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى " طه ١٢١-١٢٢

" لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " الزمر ٤

أليس كان من الأفضل للنصارى لو أراد الله أن يتخذ ولدا أن يختاره بنفسه لنفسه. ولا يكون باختيارهم.
قصة التثليث ستظل مشكلة ومعضلة من مشاكل الاعتقاد عند النصارى لأنها قصة بتأليف بشري.

أخبرَ ربنا جل وعلا عن نفسه بأنه لم يتخذ ولدا " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا " الإسراء ١١١

" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا

أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا " مريم ٨٨-٩٣

" الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا "

الفرقان ٢

(٢٨) الكتاب نفسه هدى وعمى

" وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ " فصلت: ٤٤ .

الكلمة	المعنى
أعجميا	على غير لغة العرب
لولا فصلت	هلا بُيّنت
أأعجمي وعربي	أهذا القرآن أعجمي والذي أنزل عليه عربي
هدى وشفاء	بيان للحق وشفاء من الجهل والأمراض
وقر وهو عليهم عمى	وقر : ثقل وصمم. عمى : عميت قلوبهم عن القرآن

" وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ " الزمر: ٤٥ .

الكلمة	المعنى
أشمأزت	نفرت
الذين من دونه	الأصنام والأوثان والأولياء
يستبشرون	يفرحون

وهذا فعلا عجبٌ من الأعاجيب. أن يكون القرآن نفسه سبب للنفور والاشمئزاز، و يزعم بأن القرآن متناقض وأنه أساطير الأولين وغيره من التبريرات التي لا تزيده إلا إمعانا وثباتا على إلحاده.

سأذكر مثالا على ذلك في قول ربنا " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ " الإسراء ١

لو رجعنا إلى علم الفلك وعلم الكون المعاصر ودراسات أبحاث الفضاء وغيرها، وأخبَرَنا شخص بأن شخصا مجردا من جميع الاحتياطات الوقائية التي تحفظ الجسم، صعد بدونها إلى طبقات السماء العليا، وأنه صعدَ ورجع بيسر بدون مراكب فضائية ولم يتضرر. وهم يعرفون بأنَّ الشخص الغير معتاد على صعود الجبال العالية التي ينقص فيها الأوكسجين يتأثر تنفسه وضغطه بالمرتفعات ولربما فقد حياته.

فكيف يمكن لإنسانٍ أن يتخطى الغلاف الجوي ويتخطى الجاذبية وينتقل من مكة إلى فلسطين ويصعد إلى السماء السابعة وفي ليلة واحدة. وهو ليس في زمننا هذا التقني. إنما في زمن لا كهرباء فيه ولا محركات ميكانيكية ولا وسائل العصر الحديثة.

والجواب بسيط من عدة جوانب. لكنني سأكتفي بجوابين.

الأول: أنا أتساءل ما الفرق بين هذا الإسراء والمعراج مقارنة بخلق الإنسان. قصدتُ أننا لا نتصور حدوث الإسراء والمعراج ولكننا بلا غرابة ولا تعجب، لا نتعجب من صناعة الخلق البشري من مائي الرجل والمرأة. ومن غير البشري من نبات وحيوان وأسماك وحشرات وبكتيريا وغيرها مما لا نعلم.

الثاني: الذي خلق الكون كله بأنظمته والإنسان بأنظمته قادر جل وعلا أن يغيِّر في هذا الأنظمة بما شاء وكيفما شاء وبما شاء. وهذا الإسراء والمعراج حدث جسدا وروحا. وحدث معراج آخر لكن مناما ورؤيا.

حقيقة الأجوبة كثيرة جدا للرد على هذا. ألا تتعجب من البعث والنشور يوم القيامة. لكنه يرفضه لأنه لا يتسق على ضوء علم الأحياء المعاصر الإلحادي الداروني القردي أو الهوكينغ القنبلي. دعني أجيء لك بأعجب من هذا: نحن نعلم ونؤمن إن شاء الله إيمانا قاطعا لا يقربه أدنى شك وريب؛ تأملْ معي هذه الآية

" يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " النور ٢٤

معنى الآية: ستشهد ألسنتهم بما نطقت وستتكلم أيديهم وأرجلهم بما عملت. سؤالي هذه الألسن والأيدي والأرجل كيف ستشهد وكيف تتذكر ما فعلت وهي كانت ترابا. ما بقي من الإنسان الميت إلا قطعة يسيرة هي آخر عموده الفقري. كيف تذكر أعماله التي تلفت وصارت رمادا وانتقل إلى الآخرة. هذا الإنسان الذي صار رمادا وذرته الرياح وتفرق كيف اجتمع ومعه ذاكرته. ألا هذا يثير العجب. كيف تذكر بلا ذاكرة ؟!.

لكن الأمر كله يسير على ربنا عز وجل. بل أخبرنا ربنا " مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " لقمان ٢٨. ألا تعجب بأنه جل وعلا يعلم كل ورقة سقطت. هل تدركُ معنى العلم بكل ورقة سقطت تخيل فصلا واحدا في الخريف وغير الخريف أن تحصيَ عدد أوراق الشجر التي سقطت !.

" وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " الأنعام ٥٩

" أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" العنكبوت ١٩

فإذا عرفت كل هذا وغيره، فحادثة الإسراء والمعراج حدث بسيط يسير على ربنا سبحانه وتعالى. المشكلة العظمى بأننا ما عرفنا ربنا جل وعلا. الخلق يسير على ربنا عز وجل. وهذه الأنفس من بدء البشرية إلى فنائها وبعْثها ونشورها بهذا العدد الضخم كبعث شخص واحد. ؟!. وأخبر ربنا كل هذا يسير.

" وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " الزمر ٦٧

هل تستوعب هذا المعنى. هذا الكون الضخم الذي لا نعرف نهايته وحدوده وحجمه واتساعه كله في قبضته بيمينه سبحانه وتعالى؛ فالإسراء والمعراج قضية يسيرة في قصة الخلق.

من العجيب في قصة الإسراء والمعراج هو أنه عليه الصلاة والسام كيف أخبرهم به. هذا هو العجب. هو يحمل دلائل عدم تصديقه بين يديه. والجواب على هذا: بأنَّ من رأى وعاين الحقيقة ليس كمن في الوهم.

أرأيت كيف يكون القرآن نفسه هدىً لشخص وضلالا لشخص. هذا من أعاجيب القرآن. وللأسف الكفر باقٍ إلى يوم القيامة. وستمتلئ الجنة والنار بأهلها. فلا غرابة أن قالوا بأنهم محجوبون عن القرآن بما كذبوا !.

" وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ " فصلت ٥

الكلمة	المعنى
أكنة	أغطية مانعة من فهم ما تدعونا إليه
وقر	ثِقلٌ وصمم
حجاب	بيننا ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك

(٢٩) بعض ظواهر الخلق والطبيعة

حدثت قصة لنبينا عليه الصلاة والسلام حينما قدم المدينة مهاجرا من مكة. رأى عليه الصلاة والسلام أهل المدينة يلقحون النخيل بعضه بعضا. فسألهم ما يصنعون فكان جوابهم بأنهم صنعوا ما صنع أباءهم. فاقترح عليهم بأن لو لم يفعلوا لن يغير في الرطب والتمر شيئا. والذي حدث أن النخل لم ينتج تمرا ولا رطبا. فأخبروه بما نتج عن ذلك فعلَّل لهم عليه الصلاة والسلام الفرق بين رأيه في الدين ورأيه في أمور حياتهم ومعايشهم من زراعة وحرف وغيرهما.

حدثني رافع بن خديج قال: قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وهم يأبرون النخل، يقولون يلقحون النخل، فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه، قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا» فتركوه، فنفضت أو فنقصت، قال فذكروا ذلك له فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر» صحيح مسلم – كتاب الفضائل - باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي برقم ٢٣٦٢

هذا حديث عظيم استجاب الصحابة رضي الله عنهم لرأي النبي عليه الصلاة والسلام وإن خالف عرْفهم وعادتهم. فعملوا برأيه عليه الصلاة والسلام ولم ينتج نخلهم لأنه لم يلقح. فجاؤوا إليه وأخبروه بما صار عليه تمرهم. فعلل عليه الصلاة والسلام بأنه إنما اقترح عليهم ما اقترحه برأي بشري. فكان من المهم أن يفرقوا نص النبي صلى الله عليه وسلم الوحيي والرأي البشري. وكانوا فيما بعد يسألونه رضي الله عنهم في بعض المواقف الدنيوية: هل هو الرأي ؟ فإذا وافقهم عليه الصلاة والسلام عرضوا عليه رأيهم.

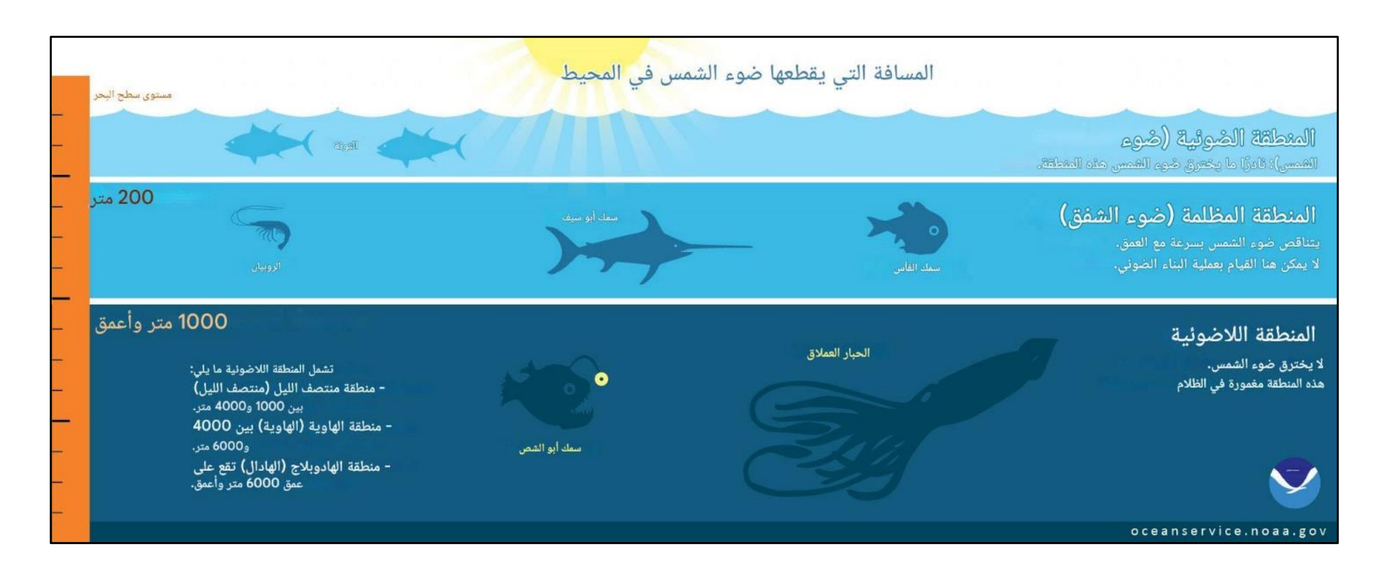
جئت بهذا الحديث ليرتبط موضوعنا ببعضه البعض. أقول: هذا الذي لا يعرف أن بدون تلقيح النخل لن ينتج تمرا ورطبا، وهو الذي أوحِيَ إليه " وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ " الحجر ٢٢. أخبر بأخبار في دقائق العلم المعاصر فيما يتعلق بالخلق البشري بتفاصيل دقيقة، وأخبر عن خلق السموات والأرض، وعن الليل والنهار وعن الشمس والقمر. وأخبر عن سقف السماء، وأخبر عن ألوان الجبال وفائدتها وأهمية خلقها. وأخبر عن الرياح التي تسبق المطر وعن الرياح التي تحرك السفن وعن الرياح التي أهَلَكتْ وعن الرياح المُلحِقة. وأخبر عن السحاب، وأخبر عن وزن السحاب الثقيل. وأخبر عن المطر والبَرَد وما ينتج عن ذلك من زرع وشرب وحفظ للماء في باطن الأرض.

وأخبر عن البحار وأنواعها وأخبر عن مجيء الموج على سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من كل مكان الذي أفاد أن السفينة كانت في وسط الأمواج من كل جهة وهذا في أبحاث علوم البحار المعاصرة من أخطر ما تقع فيه السفينة من أمواج. وأخبر عن برزخ البحر بين بحرين مختلفين وكل فيه حياته البحرية من سمك ولؤلؤ. وأخبر عن أمواج وظلمات البحر حتى أنه لا ير يديه (انظر الصورة) . وأخبر عن قاع البحر المسجور. وأخبر عن السفن التي تجري عليه.

معلومة عن ظلمات البحر: " ينقسم المحيط إلى ثلاث مناطق بناءً على العمق ومستوى الضوء. الجزء العلوي٢٠٠ متر تُسمى المنطقة المُضاءة للمحيط بالمنطقة المُضاءة، أو " منطقة ضوء الشمس ". تضم هذه المنطقة الغالبية العظمى من مصائد الأسماك التجارية، وهي موطن للعديد من الثدييات البحرية والسلاحف البحرية المحمية. كمية صغيرة فقط من الضوء تخترق ما وراء هذا العمق." . أنا اسألك: أخبرني كيف عرف ظلمات البحر وهي على بعد مئة إلى مائتين متر من السطح، وهذه المناطق لا يصلها الغواص إلا بأسطوانات الأوكسجين أو الهيليوم ؟

" أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ " النور ٤٠

(صورة بداية ظلام البحر)



المصدر: موقع خدمات المحيطات الوطنية – الموقع الحكومي الأمريكي

https://oceanservice.noaa.gov/facts/light_travel.html

وأخبر عن الكون قبل خلقه وبعد خلقه، وكم أخذت السماء من يوم وكم أخذت الأرض من يوم. وماذا حدث بالتفصيل في أيام الخلق الأولى الست. وأخبر عن علاقة الليل والنهار وعن الشمس والقمر. وأخبر عن خلق الخلق. وأخبر عن الزرع وأخبر عن الفواكه وتصميمها ومذاقها مع اختلاف تربتها. وغير ذلك كثير.

فأقول كيف تسنى لرجل عليه الصلاة والسلام الذي لم يعرف تلقيح النخل أن يأتي بكل هذا الوصف للخلق والمخلوقات. فكيف لو استعرضنا بقية الآيات.

أفردت بعض الآيات في موضوعات الخلق والكون بملحق آخر البحث بعد الفهرس لمن أراد أن يستعرض بعض الآيات فيما ذكر من ظواهر طبيعية. لكنني سأضع هنا مبحث خلق الإنسان في القرآن الكريم والسنة النبوية، وسأعرضُ بعض قصة الخلق من القرآن الكريم والسنة النبوية لعرض بعض عقيدة المسلم في خلق الإنسان.

خلق الإنسان في القرآن الكريم والسنة النبوية

(أ) بويضة ملقحة تبحث عن مأوى ثم تتعلق بداخله وتصير دما غليظا ثم عظمة ثم لحمة

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن

يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " الحج الآية ٥

توضيح المفردات :

الكلمة	المعنى (من التفسير الميسر بتصرف)
خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ	خلقنا أباكم آدم من تراب
نُّطْفَةٍ	ثم تناسلت ذريته من نطفة المني من الرجل والمرأة
عَلَقَةٍ	الدم الأحمر الغليظ
مُّضْغَةٍ	قطعة لحم صغيرة على هيئة مضغة أو هلال معوج
مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ	تامة الخلق ، وناقصة الخلق التي لن تتبعها مراحل الخلق الأخرى
أَشُدَّكُمْ	تمام الشباب مع الاختلاف اليسير في تحديد هذا العمر في العشرينات إلى الأربعينات
أَرْذَلِ الْعُمُرِ	الهرم وربما صاحبه ضعف الذاكرة
هَامِدَةً	يابسة ميتة لا نبات فيها
اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ	تفتحت بالنبات
زَوْجٍ بَهِيجٍ	النبات الحسن

انظر إلى صياغة اختصار قصة الخلق والبعث بهذا الاختصار الذي يفهمه كل قارئ على اختلاف مستواه الفكري. هل كان في مقدور محمد عليه الصلاة والسلام أن يصف مرحلة النطفة والعلقة والمضغة وتغير المراحل داخل الرحم بأحجامها الصغيرة التي لا تُرى إلا بمضخمات الصورة و بهذا الوصف الدقيق مع غياب التصوير التقني الإشعاعي. هذه القصة داخل المشيمة.

وفي الآية نفسها خاطب القرآن تفكيرك لتنظر إلى الصحراء التي خلا ظهرها من كل عشْبٍ ونبْتٍ. ثم نزل عليها المطر فأنبتتْ وأعشبتْ. ولربما تساءل المرء متعجبا أين كان هذا العشب ؟!. فالذي أخبرَ عن مراحل النطفة في الرحم هو الذي أخبرَ عن تخلق النبتة في التراب.

(ب) متى يتكون عظام الجنين

" ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " المؤمنون الآية ١٤

هذا الترتيب في الآية الكريمة يظهر لك حالة العظام قبل وبعد.

(ت) مكان التخلق في ظلمات

" يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ " الزمر الآية ٦

الكلمة	المعنى
ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ	ظلمات البطن والرحم والمشيمة.

كيف استطاع شخصٌ في ذلك التاريخ أن يحدد الظلمات الثلاث في بطن الأم التي حدثت فيها قصة الخلق ؟!. وكيف استطاع رجل بين جبال مكة قبل ١٤٥٠ عام تقريبا، ولم يكن طبيبا ولا جراحا، وليس لديه خبرة في الطب وليس له اتصال بثقافات أخرى، ولا يملك أية مهارة تؤهله لهذا الوصف. وليست مراحل الخلق معروفة أصلا إلا في عهود قريبة. وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة. أقولُ كيف وصف تغير الجنين من نطفة التي جمعت الخصائص الوراثية في مكانٍ مظلمٍ بطبقات ثلاث !. ولك أن تتعجبَ أنه انبثق من هذه النطفة جميع أجهزة الإنسان الوظيفية. وتتغير النطفة بعد الولادة في شخص كامل قد يبلغ طوله مترين وأقل ؟!.

(ث) الجينات الوراثية وشبه الجنين بالأم أو الأب

" وأَمَّا الشَّبَهُ في الوَلَدِ: فإنَّ الرَّجُلَ إذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كانَ الشَّبَهُ له، وإذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كانَ الشَّبَهُ لَهَا. " حديث أنس بن مالك رضي الله عنه من صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء - برقم ٣٣٢٩

الكلمة	المعنى
فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ	" فإذا سَبَقَ أحدُهما غَلَبَت صِفاتُه وخَصائصُه فجاء منه الشَّبهُ " ابن حجر

شرْحُ الحديث من كتاب فتح الباري لابن حجر رحمه الله " وأمَّا الشَّبَهُ في الوَلدِ فأخْبَرَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ الرَّجلَ إذا جامَعَ المرأةَ، فسَبَقَها ماؤه؛ كان الشَّبَهُ له، وإذا سَبَقَ ماؤُها كان الشَّبهُ لها ولأخوالِه؛ وذلك أنَّ لكلٍّ مِن الرَّجلِ والمرأةِ ماءً مُختلفًا في الصِّفاتِ والخصائصِ، فإذا سَبَقَ أحدُهما غَلَبَت صِفاتُه وخَصائصُه، فجاء منه الشَّبهُ " شرح ابن حجر على صحيح البخاري.

(ج) تحديد نوع الجنين ذكرا أو أنثى

" قالَ: جِئْتُ أسْأَلُكَ عَنِ الوَلَدِ؟ قالَ: مَاءُ الرَّجُلِ أبْيَضُ، ومَاءُ المَرْأَةِ أصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمعا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ المَرْأَةِ، أذْكَرَا بإذْنِ اللهِ، وإذَا عَلَا مَنِيُّ المَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بإذْنِ اللهِ. قالَ اليَهُودِيُّ: لقَدْ صَدَقْتَ، وإنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ. فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: لقَدْ سَأَلَنِي هذا عَنِ الذي سَأَلَنِي عنْه، وما لي عِلْمٌ بشيءٍ منه، حتَّى أتَانِيَ اللَّهُ بهِ. وفي رواية: بمِثْلِهِ ". من حديث ثوبان رضي الله عنه في صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما - برقم ٣١٥

الكلمة	المعنى
فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ المَرْأةِ	غلب

ح) تحديد المرحلة الزمنية لكل مرحلة من مراحل تطور النطفة

" أنَّ خَلْقَ أحَدِكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا أوْ أرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ " حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في صحيح مسلم كتاب القدر - باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته - برقم ٢٦٤٣

هذا تفصيل زمني دقيق لمراحل تخلق النطفة والعلقة والمضغة التي ستمضي كل منها أربعين يوما في مرحلتها. ثم ينتقل الجنين إلى أطوار أخرى. هذه النطفة تحمل نظامها معها في التخلق والتغير حتى يحين خروج الجنين إلى الحياة ليكمل طفولته وفتوته وشبابه ورشده وكهولته وهرمه.

خ) إضافات مهمة

" لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ " الشورى ٤٩-٥٠

ولازلنا في مسيرة الحياة من القرآن الكريم عن أصناف الناس في الحمل: من يرزَقُ بناتا، ومن يرزق أولادا، ومن يرزقهما معا إناثا وأولادا، ومن لا يرزق أحد منهما وهو العقيم. فالقصة كاملة في تصور المسلم عن قصة الخلق في الإنسان والكون.

س/ هل يمكن أن يحدث خلق لإنسان بدون توفر الأسباب الطبيعية لخلقه ؟

ج/ (١) الخلق مع الأسباب: بوجود الرجل والمرأة.

(٢) وبدون الأسباب: كخلق آدم عليه الصلاة والسلام بلا أب وبلا أم. إنما خُلِق من تراب.

(٣) وضد الأسباب: بعدم وجود أحدهما أو بامتناع أحدهما أو بامتناع الاثنين معا.

أمثلة من القرآن الكريم على نوع ضد الأسباب:

١- ولادة إسحاق عليه الصلاة والسلام:

" هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ " الذاريات ٢٤-٣٠

جاء في التفسير الميسر بتصرف يسير للتوضيح : فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالبشارة صاحت ولطمت وجهها تعجبا وقالت كيف ألد وأنا عجوز أي انقطعت عنها أسباب الحمل وهي عقيم منذو الولادة. تجاوز العمر أو العقم أحدهما كافٍ في انقطاع الحمل. فكيف إذا اجتمعا !. حملت العجوز العقيم بإسحاق الذي عقّبَ بيعقوب عليهم الصلاة والسلام.

٢- ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام:

" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا " مريم ١٦-٢٣

جاء في التفسير الميسر بتصرف يسير للتوضيح " قال لها الملَك جبريل الذي جاءها بهيئة رجل إنما أنا رسول ربك بعثني إليك لأهب لك غلاما طاهرا من الذنوب. قال بعض المفسرين بأنه نفخ في جيبها."

من المهم جدا أن جاء جبريل عليه السلام ليخبرها بأنها ستحمل بولد؛ وأهمية ذلك: بدونه قد يطرأ على ذهنها أوهامًا بأن حملها جاء عن طريق الخطأ كأن اعتدى عليها أحد وهي لم تشعر، ولئلا تحاول أن تتخلص من الحمل خشية العار، والأهم ألا تشعر بالحرج حينما ترجع به إلى أهلها خاصة هي من بيت نبوة من بيت آل عمران حتى أنها والدتها جدة عيسى عليه الصلاة والسلام حينما حملت بمريم رجت أن يكون ولدا تستخلصه للعبادة " إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " آل عمران الآية ٣٥

مع ظروف الحمل الصعبة، طمأنها ربنا وأوحى إليها بألا تقلق. وعليها أن تهتم بصحتها وسعادتها بأن تأكل وتشرب وتصمت بألا تكلم أحدا من البشر وربنا سيتولى أمرها. حتى أنها حينما رجعت إلى قومها، عاتبها قومها ولم تتكلم بل أشارت إلى الطفل الذي تكلم في المهد. فهذا الطفل المعجز سترافقه الآيات المعجزة أيضا. بعض حلول المشاكل العظيمة: الصمت.

" فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا " مريم الآية ٢٦

٣- ولادة يحي عليه الصلاة والسلام:

عيسى ويحي عليهما الصلاة والسلام ولدا خالة. أي أن مريم وأم يحي أختان.

" كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا " مريم ١-٩

نحن في موضوع الحمل ضد الأسباب: بعدم وجود أحدهما أو بامتناع أحدهما أو بالاثنين معا

زوجة زكريا عاقر. واشتعل شعر زكريا عليه السلام شيبا. حقيقة أنا لا أعجب من خلق يحي عليه الصلاة والسلام الذي حُدِّد جنسه قبل ولادته، وصفته بأنه زكيا. أقول ليس هذا وجه الغرابة عندي، إنما وجه الغرابة " لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا "

" قبلُ " هذه تشير إلى إحصاء بشري كامل قبل مجيء يحي بأن اسمه لم يُسمَّى به غيره قبلُ. فوجه غرابتي كيف تأتى للنبي محمد عليه الصلاة والسلام أن يقدم إحصاءً استقصائيا للاسم وينفي أية تسمية قبله ؟!.

ثمة أمرٌ أعجب من هذا في كلام ربنا تبارك وتعالى:

" وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا " النساء الآية ١٥٧

لم يحضر محمد عليه الصلاة والسلام واقعة الصلب. وقال للذين حضروا الواقعة وشاهدوها بأنكم لم تصلبوا عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنَّ المصلوبَ شخصٌ آخر شُبِّه عليكم. أخبر محمد عليه الصلاة والسلام شهادته بيقين كامل.

وفي مواضع أخرى ذكر ربنا تبارك وتعالى عدم حضوره عليه الصلاة والسلام الواقعة وأخبر عنها بيقين كامل

وليس الحديث في هذا إنما أحببت ذكر هذه الفائدة لمناسبتها السياق

سأعرضُ أمثلة من القرآن الكريم يخبرنا عنها محمد عليه الصلاة والسلام ولم يحضرها. أليس هذا يؤيد فكرة إنكار إخباره ؟!. ومع ذلك يخبرنا بكل يقين عن الحدث والواقعة. ولو طبقتَ هذا المبدأ وهو حضوره عليه الصلاة والسلام فيما أخبر في قصص الأنبياء، وأخبار الجنة والنار، وغيرها الكثير. لامتلأ صدرك يقينا بأنَّ هذا القرآن ليس من كلام البشر، بل لن يستطيعه البشر. بل سلْ نفسك هل كان عنده علم بهذا القرآن الكريم سواء حضر أو لم يحضر.

(د) الخلاصة

جاءت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية بأخبار عن مراحل خلق الجنين في وصف دقيق لهذه البيئة المكونة من ثلاث ظلمات أي طبقات أو مستويات. وأخبرنا الوحي القرآني والنبوي بمائي الرجل والمرأة ونوعه ولونه وزمنه ثم جاء الوحي أكثر دقة في مؤثرات نوع الجنين وأشباهه.

وفائدة تطبيقية لهذا الوحي: يستطيع الوالدان في التأثير على نوع الجنين وأشباهه بسبق الماء وعلوه. أليس هذا بعض الهندسة الوراثية المعاصرة.

هذه النطفة تحمل خصائصها وصفاتها التي ستنقسم إلى ذكر وأنثى. ثم لاحقا خلال سني العمر، تَنبتُ الأسنان في عمر معين ويتساقط بعضها حينما يكون الصغير بين السابعة والثامنة. وفي السنوات التالية يتهيأ هذا المخلوق للمراحل الأخرى. فينبت الشعر في مواضع معينة عند أعمار معينة. وتقريبا يتكور صدر الأنثى في الثانية عشر للرضاعة. والصبي قريبا من هذا العمر يبلغ مبلغ الرجال. ثم في سنوات لاحقة من داخل النطفة نفسها يصير الشعر الأسود رماديا في الأربعين وقريبا منها. ثم ينقلب الشعر الأسود أبيضا. من حدَّد أزمنة النطفة على سني الإنسان؟!. من أين انبعثت وظائف الأجهزة المختلفة في الجسم نفسه؟ أين كانت العظام في تلك النطفة؟ كيف تشكلت الجمجمة بالنظام العصبي المعقد ؟ كيف هذ الأنظمة المعقدة تتناسق وتتكامل مع بعضها ؟ ما قنوات التنسيق هذه ؟ . هذا النظام ليس في النطفة فقط. بل الكون كله يسير في أنظمة على اليابسة وفي البحر وفي الجو داخل الغلاف الجوي وخارجه.

ويجري على الكائن الحي من إنسان ونبات وسمك وطائر وغيرها. بل الجماد له دوراته وأنظمته. وقصة الخلق مستمرة سواء أدركنا قصتها أو لم. إنما نحن ملاحظون ومشاهدون في غالب الأحيان والأحوال. ولن تتأثر مسيرة الخلق بعلمنا بها أو بجهلنا. وليس الخلق والكون مصنوعين على قدر فهمنا وعقولنا.

(٣٠) الإخبار عن أساليب رفض الأنبياء والرسل

سأجمع أسباب الرفض الكثيرة التفصيلية في أنواع عامة مجملة اختصارا للبحث:

١- اتهام شخص النبي: بالجنون، والسحر، وطلب المال والرئاسة
٢- اتهام أتباع الرسل بأنهم أراذل الناس من الفقراء والضعفاء
٣- اتهام الرسالة نفسها كالتوحيد بجعل الإلهة إلها واحدا
٤- اتهام برهان النبي الكتاب المنزل بأنه من أساطير الأولين الخرافية
٥- الاحتجاج بالتمسك بما عليه الأقدمين من الآباء
٦- الرفض بسبب الصفات الشخصية كالعناد والكبر والهوى والجحود وطلب الجاه بالرئاسة والقبيلة
٧- تأثير موضع التابع والمتبوع بصفات القيادة والخنوع.

وكل هذا جاء في القرآن الكريم والرد عليه. لكنني سأعرض دليلا واحد للتمثيل على القسم السابع. ويمكن الرجوع إلى كتاب الدكتور محمد بن عبد العزيز المسند بعنوان أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين وعاقبة ذلك في ضوء القرآن الكريم. طبعته مؤسسة الرسالة. ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

الدليل في قوله تعالى:
" وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ " المؤمنون ٣٣-٣٤
احتج قادة المتبوعين على الأتباع بدليل واهٍ لا برهان عليه على رفض دعوة الرسل بقولهم: كيف تطيعون بشرا مثلكم ؟!. ولو قلب الأتباع الدليل على المتبوعين وقالوا لهم أنتم أيضا بشرا فلم نطيع بشريتكم ولا نطيع بشرية الأنبياء والرسل الذين معهم الدليل والبرهان.

ويشمل في زمننا المعاصر زيف ووهن الاستدلال بالعلم التجريبي المعاصر على الإلحاد بتكذيب الغيب الذي جاءت به الرسل والأنبياء. فالقرآن الكريم في برهانه كبرهان عصا موسى عليه الصلاة والسلام التي تحولت إلى ثعبان تسعى. وهو كبرهان عيسى عليه الصلاة والسلام في تحويل الطين طيرا وإحياء الموتى وإشفاء الأبرص والأكمه. وهو بعض دلائل النبوة للأنبياء والرسل.

وهذه نتيجة الاتباع في قوله تعالى:
" يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا " الأحزاب ٦٦-٦٧

فالنار عاقبة طاعة السادة والكبراء وعلماء الطبيعة الملاحدة المنكرين للأنبياء والرسل الذين جاءوا بالدلائل والبراهين على صدقهم. وقتذاك، هل سيخفف الندم والحسرات من العذاب الأبدي في النار ولو يوما.

تأمل قول ربنا جل وعلا " فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون " غافر ٨٣ . فلا يكن الفرح بالعلم سبيلا إلى أن يحيق بالمرء بما حاق بالأقوام السابقة.

(٣١) جاء القرآن الكريم بالرد العقلي على إنكار الإله وإنكار تعدد الآلهة

لعلي أتوقف هنا، وأكمل هذا العنصر لاحقا إن شاء الله.

للعقل عمر كالجسم. فعقل الإنسان يصغر ويكبر. في الشباب، ربما غلبَ عقل عمر الشباب بالمعاندة الفكرية للحق؛ لأن العقل لا زال ينمو ويكبر فيصيبه الغرور بأنه لا علم أكبر من العلم التجريبي فيتكبر ويبطر. ويصير العلم خدعة، والفكرة حفرة. كلما حفر، زاد بعدا.
وهذا الشاب إذا هرِم صَغُرَ عقله حتى يعود طفلا بلا شهوة وربما نسيَ نفسه واسم ولده. لكن هل سيبقى معه عقله حينذاك؛ ليدركَ بأنَّ العلمَ المُلحِد في الشباب كان شهوة !.

ثلاثة من البشر وصفهم حديث النبي عليه الصلاة والسلام بأنهم ثلاثة من أصناف الناس فعلوا فِعْلا نقيض ما كان أن ينبغي أن يفعلوا. وأحد هؤلاء الثلاثة الأشيمط الزانٍ. لم يسلك حقه في النكاح. سلكَ طريق الزنى والفواحش الأرخص الأسهل. وهو أو هي في هذا العمر الكبير الذي تضعف فيه الرغبات ضعفا شديدا. ولسوءٍ فيه، لا زال يظن أو تظن أنه ذلك الشاب أو تلك الفتاة معشوقة الشباب. فيخوض فيما يخوض.

فليكن عقلك وعمرك متزامنين. يكبر جسمك ويكبر معك عقلك. الإيمان والشريعة جاءتا بالدليل والبرهان وهو هذا القرآن الكريم الذي يحفظ كل ما يحْفَظ في الدنيا والآخرة، ويحفظك صغيرا ووسطا وكبيرا. ويحفظ المجتمعات والدول.

والإيمان والوحي إكرام وتشريف من ربنا جلَّ وعلا أن أنزل علينا القرآن، وأرسل الأنبياء والرسل بالبراهين، نقلوه إلينا، ولم يتركنا هملا ضائعين ضياع العالم المعاصر الذي خلا أكثره من الإسلام.

وأخيرا، هذا إهداء لأهل الحديث لئلا يظنوا بأنني تخطيتهم. جاء في سنن أبي داود بتصحيح الألباني رحمهم الله حديث حذيفة رضي الله عنه في باب أمارات الساعة برقم ٤٣١١. " لن تكونَ - أو لن تقومَ - السَّاعةُ حتَّى يكونَ قَبْلَها عشْرُ آياتٍ: طُلوعُ الشَّمسِ مِن مَغْرِبِها، وخُروجُ الدَّابَّةِ ، وخُروجُ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ ، والدَّجَّالُ، وعيسى ابنُ مريمَ، والدُّخَانُ، وثلاثةُ خُسوفٍ: خَسْفٌ بالمَغرِبِ، وخَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وخَسْفٌ بجَزيرةِ العربِ، وآخِرُ ذلك تخرُجُ نارٌ مِنَ اليَمَنِ، مِن قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إلى المَحْشَرِ." هل قرأت أو شاهدت شيئا عن بركان عدن ؟. الذي يهمني ليس البركان ولا النار فيما يتعلق بالبحث. أقول يهمني: الوصف المكاني للقعر. القعر عند غريب المحدثين هو نهاية الأسفل. أين نهاية أسفل بركان عدن ؟.

ونرجع إلى نفس السؤال الذي تكرر كثيرا : أنَّى عرف هذا الرجل الأمي ؟!.

الكفر والإلحاد أقبحُ الأفعال. لا يترك الإلحادُ شيئا إلا أتلفه. والإسلام يرفعك ولا يتلفك.

حفظنا الله وإياك من كل شر وسوء. وأبقانا على الصراط المستقيم سالكين سائرين. اللهم ربنا آمين.

الفهرس

ملحق لبعض آيات القرآن الكريم في خلق الإنسان والكون

(ألحقته اختصارا للبحث؛ فكلما شذبتُ البحث فرحت، وإذا تضخم وكبُرَ تضايقت)

ليست السور مرتبة على ترتيب المصحف

خلْق الإنسان

" وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " النور: ٤٥

" الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ " السجدة: ٧-٩

السماء

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ الأنبياء: ٣٠

ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فصلت: ١١

" وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ " الأنبياء: ٣٢-٣٣

" وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ " الطارق: ١١-١٢

" وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ الطور " الطور ٥-٦

المطر والبَرَد

" هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ " الرعد: ١٢

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ " النور: ٤٣

" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ " البقرة: ٢٢

" أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ " الرعد: ١٧

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ " الزُمَر: ٢١

" هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ " النحل: ١٠

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " الحج: ٦٣

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ

فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ المؤمنون ١٨-٢٢

" وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا " الفرقان: ٤٧-٥٠

" وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " الروم: ٢٤

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ " فاطر: ٢٧

" وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ " الزخرف: ١١

" وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا " النبأ ١٤-١٥

" وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " الأعراف: ٥٧

الجبال

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ " فاطر: ٢٧

" وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ " الغاشية: ١٩

" وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " الأعراف: ١٧١

" وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا " النبأ: ٧

" وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " الرعد: ٣

" وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ " الحجر: ١٩

" وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " النحل: ١٥

" أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " النمل: ٦١

" قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ " فصلت: ٩-١٠

" فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " فصلت: ١٢

" وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا " المرسلات: ٢٧

" وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "

النحل: ٦٨-٦٩

البحر

" هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ " يونس: ٢٢

" اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ

وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" إبراهيم: ٣٢-٣٣

" وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " النحل: ١٤

" رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً

أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا "

الإسراء: ٦٦-٦٩

" وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " الروم: ٤٦

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" لقمان: ٣١

" وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " فاطر: ١٢

" وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ " الزخرف: ١٢

" مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ " الرحمن: ١٩ – ٢٠

" وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ

إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" الشورى ٣٢ – ٣٣

" أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ " النور: ٤٠

" وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ" لقمان: ٣٢

" وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ " الطور: ٦

الرياح

" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " البقرة: ١٦٤

" وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " الأعراف: ٥٧

" وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ " الحجر: ٢٢

" وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا " الكهف: ٤٥

" أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " النمل: ٦٣

" اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ " الروم: ٤٨

" وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ" فاطر: ٩

بعض سور آيات القرآن الكريم مجتمعة لعدة مظاهر طبيعية

آيات من سورة النحل

" هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ
يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ
وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ
وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ "

النحل ١٠-٢٤

آيات من سورة النبأ

" أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا

وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا "

النبأ ٦-١٦

آيات من سورة النمل

" أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ

أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ

لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ " النمل ٦٠-٦٩

آيات من سورة الإسراء

" قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا

أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً

قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً

قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا "

الإسراء ٨٨-٩٦

آيات من سورة الروم

" وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ

وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ "

الروم ١٨-٢٩